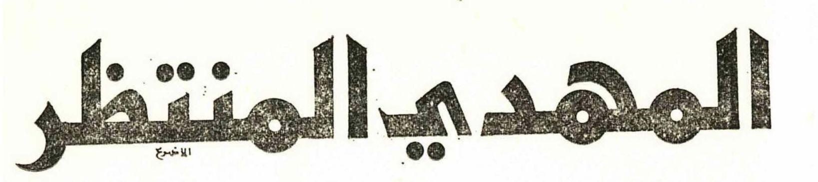
د. محمد فريد حجاب



المهدي المنتظر

بين العقيدة الدينية والمضمون السياسي

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر – 1984

د. محمد فريد حجاب

المهدي المنتظر

الاخرج

بين العقيدة الدّينية والمضمون السّياسي

المؤسسة الوطنية للكتاب
الجزائر – 1984

المؤسسة الوطنية للكتاب
رقم النشر : 1288 / 82
الجزائر 1984

الاهــــداء

الى كل مسلم يأمل في تطبيق قيم الاسلام الصحيحـة من خـــلال نظـام يكفل تحقيق المســـاواة والعدالة لكل أعضائه .

مقـــــدمة :

لقد كان حادث احتلال المسجد الحرام بمكة المكرمة في مطلع القرن الخامس عشر الهجري من جانب بعض الشباب المسلمين بزعامة من ادعى أنه « المهدي المنتظر » حافزا على القيام بهذه الدراسة ، لا سيما وأن احتلال المسجد الحرام أو الاعتداء على بيت الله واقعة لم يسبق حدوثها سوى مرتين من قبل طوال التاريخ الاسلامي (1) . وقد كان الاعتقاد بأن المهدي المنتظر الذي يبايع « بين الركن والمقام » في بيت الله هو الذريعة لحركة هذه الجماعة ذات المآرب السياسية ، ودافعا لنا على الاهتمام بدراسة ظاهرة المهدوية في الاسلام كظاهرة سياسية ودينية في آن واحد. ولكن اهتمامنا في المقام الأول سينصب على الجوانب السياسية والاجتماعية للظاهرة ، وهو ما يتضح من عنوان البحث « المهدي المنتظر بين العقيدة الدينية والمضمون السياسي » . وقد اخترنا مصطلح « عقيدة » في هذا العنوان بدلا من مصطلح «فلسفة»

---

1 ـ كانت المرة الأولى في سنة 72 هـ حينما اعتصم عبد الله بن الزبير وأتباعه بالكعبة ، وأطلق على نفسه لقب « العائذ بالبيت » ، وقد قام الحجاج ابن يوسف الثقفي بمحاصرة مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق للقضاء على المحتمين به ، وكانت المرة الثانية في عام 317 هـ حينما هاجم قرامطة البحرين حجاج البيت وقتلوهم وخلعوا أستار الكعبة وبابها ، وأخذوا معهم الحجر الأسود حيث بقي في حوزتهم في عاصمة دولتهم حتى عام 339 هـ . أنظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة 1258 هـ ، الجزء الرابع ، ص 63 ، الجزء الخامس ، ص 30 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، القاهرة 1303 هـ ، الجزء الرابع ، ص 49 ، 137–138 ، 439 ، الجزء الثامن ، ص 81 ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بولاق 1284 هـ ، الجزء الرابع ، ص 89–90 .

أو مصطلح « ايديولوجية » ، لأن مصـطلح « عقيـدة » في تصورنا أكثر تعبيرا عن طبيعة ظاهرة « المهدي المنتظر » كظاهرة من الظواهر السياسية في الاسلام التي تعكس الارتباط الوثيق في الفكر السياسي الاسلامي بين الدين من جانب والسياسة أو « الملك » من جانب آخر (2) • كما أن مصطلح « عقيدة » ليس بعيد الصلة بمصطلحي « فلسفة » و « ايديولوجية » • فهذه المصطلحات الثلاث ـ رغم ابتعادها عن بعضها أحيانا ـ الا أن تقاربها والتقاءها أقرب الى التصور بسبب ارتباطها بالعلـوم الانسانية التي تدور حول الانسان باعتباره كيانا واحدا متكاملا

---

2 ـ أن نظرية تآخي الدين والملك من النظريات السائدة في الفكر الاسلامي ، ويحلو للبعض أن يشير الى الأثر الفارسي في الفكر الاسلامي من خلال هذه النظرية (على سبيل المثال يمكن الرجوع لوجهة النظر هذه في :

Yves Marquet,
Imamat, resurrection et hiérarchie selon les Ikhwan Al-Safa,
Revue des Etudes Islamiques, Tome 30, 1962, p. 53 ;

سيد حسين نصر ، ثلاثة حكماء مسلمون ، ترجمة صلاح الصاوي ، بيروت 1971 ، ص 33 ، أجناس جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ترجمة د . محمد يوسف موسى وآخرين ، دار الكاتب المصري ، القاهرة 1946 ، ص (57ـ58) وقد استند هؤلاء الى ما أوردته المصادر الاسلامية من قول أردشير بن بابكان ملك الفرس في وصيته « الملك والدين اخوان توأمان لا قوام لأحدهما الا بالآخر ، وذلك أن الدين أس الملك والملك حارسه ، فما لا أس له فمهدوم ، وما لا حافظ له ضائع ، ولا بد للملك من أس ، ولا بد للدين من حارس ، (يمكن الرجوع في صدد هذا النص الفارسي وما ورد منه أو مضمونه في الكتابات الاسلامية الى : حسين قاسم العزيز ، البابكية ، مكتبة النهضة ، بغداد 1966 ، ص 109ـ110 ، كريستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة د . يحيى الخشاب ، القاهرة 1957 ، الفصل الثالث عن الزرادشتيه دين الدولة ، ص 130 وما بعدها ، مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، القاهرة 1959 ، ص 144 وما بعدها ، محمد كردعلي ، رسائل البلغاء ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1946 ، ص 382 ، العامري ، السعادة والاسعاد ، نشر : مجتبي مينوي ، فيزبادن 1957 ـ 1958 ، ص 207 ، رسائل اخوان الصفاء ، دار صادر ـ دار بيروت ، بيروت 1957 ، الجزء الثاني ، ص 368 ، أبو الحسن العامري ، كتاب الاعلام بمناقب الاسلام ، تحقيق د . أحمد عبد الحميد غراب ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة 1967 ، ص 152ـ153 ، البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، حيدر أباد 1377 هـ ، ص 75 ، الغزالي ، احياء علوم الدين ، دار الشعب ، القاهرة 1969 ، الجزء الأول ، ص 30 . ويذهب البعض الى القول بأن هذه النظرية ـ تآخي الدين والدولة ـ انتقلت الى البيئة الاسلامية من خلال كتابات ابن المقفع التي احتوت على معظم الفكر الفارسي مثل (كليلة ودمنة) و « الأدب الكبير » و «الأدب الصغير» (أنظر : الأب قنواتي ، مادة «أخلاق»،

يؤثر بعض جوانبه في البعض الآخر • ففلسفته ــ أي الانسان ــ ثمرة عقله ، تؤثر في عقيدته ثمرة قلبه ، كما تؤثر عقيدته في فلسفته ، وتتفاعل العقيدة مع الفلسفة مع جوانب أخرى من حياة الانسان لتكون شخصيته أو ايديولوجيته (3) ، واذا عرفنا أن العقيدة الدينية في العصور الوسطى لعبت نفس الدور الذي تلعبه الايديولوجية في العصور الحديثة ، وأن عدم الفصل بين الدين والدولة في الاسلام جعل الدين يستخدم ــ حتى وقتنا الحالي ــ في تكييف العلاقة بين الحاكم والمحكوم (4) ولأن الاسلام ظاهرة دينية وسياسية ، ولأن مؤسسه كان نبيا ورجل دولة معا ، فقد كان تطور الأمة الاسلامية وانقسامها الى طوائف

= دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثاني ، ص 443–444) . وفي تصورنا أن الدين والدولة بالنسبة للروح العربية ــ بمعناها العام ــ لا ينفصلان ؛ وأن الاسلام الذي كان هو المعبر الأعظم عن هذه الروح العربية الحقيقية لا يتصور التفرقة بين الدين والدولة ، ولذا اشتمل عى الجانبين السياسي والروحاني ، ومن ثم فان المفكرين المسلمين حينما يصورون في كتاباتهم هذا الارتباط بين الجانبين ، فانهم يعبرون عن روح الدين الاسلامي ، وحينما اقتبسوا النظرية الفارسية لم يقتبسوها لمجرد النقل ، وانما على سبيل الاستشهاد والاستدلال ، كما أنهم لم يقتصروا في هذا الاستشهاد على أقوال الفرس وحدهم ، بل استشهدوا في موضوعات عديدة بأقوال فلاسفة اليونان والهند وغيرهم .

3 ــ حول معنى العقيدة والفلسفة والايديولوجية والعلاقة بينها يمكن الرجوع الى: صالح عبد العزيز ، تطور النظرية التربوية ــ دراسات في التربية ، دار المعارف ، مصر 1964 ، ص 18–19 ، د . عبد الغني عبود ، العقيدة الاسلامية والايديولوجيات المعاصرة ــ الاسلام وتحديات العصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1976 ، ص 22–23 ، ياكوب باريون ، ما هي الايديولوجية ، تعريب د . أسعد رزوق ، الدار العلمية ، بيروت 1971 ، ص 13 – 34 ، H. Hanafi, **Theologie ou Anthropologie, Renaissance du Monde arabe**, Gemblux 1972, pp. 233-264 ; Destutt de Tracy, Mémoire sur la faculté de penser, 1er vol., 1796-1798, projet d'éléments d'idiologie, 1801 ; Emile Brehier, **Histoire de la philosophie, La philosophie moderne**, Paris 1940, p. 600 ; André Lalande, vocabulaire technique et critique de la philosophie, Paris 1926, p. 330 ; Karl Maunheim, **Ideology and Utopia**, London 1936, pp. 238-239.

4 ــ أنظر د . حسن حنفي ، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1976 ، ص 143–146 .

ومذاهب وفرق عديدة نتيجة طبيعية للصلات الطبيعية التي قامت بين الدستور السياسي والعقيدة الدينية • ومن ثم ، لم يكن الاسلام ينظر الى العالم نظرة دينية فحسب ، بل كانت له مشكلاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية • وكان بديهيا أن تصطبغ المسائل السياسية في الاسلام بالصبغة الدينية ، وأن تتخذ المصالح الدينية مظهرا لها مما يضفى على المنازعات والأمور السياسية طابعا خاصا (5) • نقول اذا عرفنا كل هذا ، فان استخدامنا لمصطلح « عقيدة » ، المتعبير عن مضمون ظاهرة « المهدي المنتظر » في الاسلام ، يكوز له ما يبرره •

وقد رأينا أن تبدأ خطة البحث بعرض معنى «المهدي» في اللغة العربية واستخدامات هذه الكلمة في الأدب العربي ، ثم نعرض للعقائد غير الاسلامية من حيث أثر «المهدوية» في هذه العقائد ، وبعد ذلك نتعقب الأصول الاسلامية لعقيدة المهدي المنتظر فى القرآن الكريم وفى الحديث الشريف ، ثم نتطرق بعد ذلك في نقاط منفصلة للعقيدة المهدوية عند أهل السنة ، والشيعة ، والصوفية ، وبعض الفرق الاسلامية الأخرى ، على أن نختتم البحث بعرض أهم الملامح لعقيدة المهدي المنتظر بصدد معضلة التغيير •

---

5 ـ أنظر : ر • ستروثمان ، الشيعة ، دائرة المعارف الاسلامية ، الجزء الرابع عشر ، ص 57 ، 65 ، جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 168 •

المبحث الأول

(معنى « المهدي » في اللغة والأدب)

لفظ « المهدي » مشتق من الفعل الثلاثي «هدى» . والهدى ضد الضلال ، وهو الرشاد . وهديت أي بينت . والمهدي الذي قد هداه الله الى الحق . وهداه يهديه هداية اذا دله على الطريق . وهديته أي عرفته أو أرشدته . وأهديت بمعنى أرسلت . والهدى النار . والهدى الطاعة والورع . والطريق يسمى هدى . وهديت أي قصدت . وحسن الهدى أي حسن المذهب . وكل متقدم هاد ، ولذا سمى العصا هاديا لتقدمه من يمسكه . والهدى السيرة (1) .

ولقد ورد لفظ «المهدي» في الشعر العربي كلقب أو صفة أو بمعنى المهدي المنتظر . فالخليفة العباسي محمد بن أبي جعفر المنصور كان ملقبا بلقب « المهدي » ، حتى اشتهر بهذا اللقب . وفي شعر لأبي العتاهية يمتدح به الخليفة المهدي العباسي يقول (2) :

ساشكر نعمة المهدي حتى تدور علي دائرة الحمام

---

1 – ابن منظور ، لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، الجزء العشرون ، مادة «هدى» ، ص 228–236 ، الرازي ، مختار الصحاح ، المكتبة الأموية ، بيروت – دمشق 1978 ، مادة «هدى» ، ص 692 – 693 .

2 – أبو فرج الأصبهاني ، الاغاني ، دار الفكر للجميع ، بيروت 1970 ، الجزء الثالث ، ص 141 .

وللشاعر أبي دلامة قصيــدة وجهها للخليفــة المهدي يقول فيها : (3)

ألا أيها المهدي هل أنت مخبري وان أنت لم تفعل فهل أنتسائلي

ويذكر الحسين بن مطير الخليفة المهدي بقوله : (4)

لو يعبد الناس يامهدي افضلهم ما كان في الناس الا أنت معبود

كما ورد لفظ « المهدي » كصفة يقصد بها التمجيد والتبجيل ورفعة الشأن • وعلى سبيل المثال نجد أن «جرير» الشاعر قد أطلق هذه الصفة أو هذا اللقب على سيدنا ابراهيم عليه السلام ، حين يقول (5) :

أبونا أبو اســحق يجمع بيننـــا أب كـــان مهـــديا نبيـــا مطهـــرا

وفي رثاء حسان بن ثابت للنبي محمد عليه الصــلاة والسلام عند وفاته ، وصفه بأنه « مهدي » • ولم يقصد بهذه الكلمة أي معنى من المعاني المهدوية ، بل قصد بها مدح النبي ، صلى الله عليه وسلم ، باعتبار أنه كان يسير دائما في الطريق السوي ، فيقول (6) :

ما بال عينـــك لا تنام كأنمـــا كحلت مآقيها بكحـــل الأرمـــد
جــزعا على المهدي أصبح ثاويا يا خير من وطىء الحصى لا تبعد
بأبي وأمي من شهــدت وفاتــه في يــوم الاثنين النبي المهتدي

---

3 – المرجع السابق ، الجزء التاسع ، ص 133 . وقد تكرر اسم المهدي في القصيدة .

4 – المرجع السابق ، الجزء الرابع عشر ، ص 117 . ويمكن الرجوع الى كثير من أبيات الشعر التي ورد فيها اسم الخليفة العباسي «المهدي» . ومن أمثلة ذلك أبيات لبشار بن برد (نفس المرجع ، الجزء الثالث ، ص 58 – 59 ، 69) ولأبي دلامة (نفس المرجع : الجزء السادس ، ص 47 ، الجزء التاسع ، ص 132) وللسيد الحميري (نفس المرجع ، الجزء السادس ، ص 14) ولنصيب (نفس المرجع ، الجزء الثامن ، ص 47) ولمطيع بن اياس (نفس المرجع ، الجزء الثاني عشر ، ص 99) وللمؤمل بن أميل (نفس المرجع ، الجزء التاسع عشر ، ص 147) وللحجفاء بنت النصيب (نفس المرجع ، الجزء العشرون ، ص 32–33) .

5 – جولدتسهير ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 194 .

6 – المرجع السابق ، ص 194 .

وينسب لعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أنه أشار الى الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، بلقب المهدي في كلمة وجهها لأهل المدينة ، حيث قال : « ان الله عز وجل بعث رسولا هاديا مهديا ••• » (7) • وعلي بن أبي طالب نفسه أطلق عليه لقب المهدي • كما أطلق اللقب أيضا على الحسين بن علي كما سنعرض فيما بعد عند بحث عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة •

وفي شعر للفرزدق ورد لفظ « المهدي » في مدح النبي ، عليه السلام ، وفي مدح سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي ، حيث يقول (8) :

يقوم ابو العاصي آبوهم توارثوا خلافة مهدي وخير الخواتم

الى أن يقول في البيت رقم 60 من نفس القصيدة :

وألفيت من كفيك حبل جماعة وطاعة مهديٍ شديد النقائم

ولجرير عدة أبيات ورد فيها لفظ « المهدي » يمتدح به الخلفاء الأمويين ، فيقول في سليمان بن عبد الملك بن مروان (9) :

سليمان المبارك قد علمتم هو المهدي قد وضح السبيل

ويمتدح هشام بن عبد الملك بقوله (10) :

فقلت لها الخليفة غير شك هو المهدي والحكم الرشيد

وفي شعر لابن المولى ورد لفظ «المهدي» كصفة للخليفة المهدي العباسي ، حيث قرنت بلفظ «القائم» ، وهو مصطلح آخر يدل على «القائم المنتظر » ، حيث يقول (11) :

الى القائم المهدي أعملت ناقتي بكل فلاة آلها يترقرق

---

7 ـ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 465 ـ 466 .

8 ـ جولدتسهير ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 341 .

9 ـ أنظر : ديوان جرير ، القاهرة 1313 هـ ، الجزء الثاني ، ص 40 .

10 ـ المرجع السابق ، ص 94 .

11 ـ الاصبهاني ، الأغاني ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 88 .

وابن التعاويذي يمتدح الخليفة العباسي الناصر في الربع الأخير من القرن السادس الهجري بلقب « المهدي » مغاليا في تمجيده واطرائه الى حد أنه رأى في خلافته ما يغني عن انتظار المهدي في آخر الزمان ، حيث يقول (12) :

أنت الامام المهدي ليس لنا أمام حق سواك ينتظر
تبدو لأبصارنا خلافا لأن يزعم أن الامام منتظر

وأخيرا ، ورد لفظ « المهدي » في الأدب العربي للدلالة على معنى « المهدي المنتظر » فالسيد الحميري ، الذي كان متشيعا لمحمد بن الحنفية وكان يزعم بأنه لم يمت ، يقول : (13)

تمام مودة المهدى حتى تروا راياتنا تترى نظاما

وللشاعر كثير ــ الذي كان متشيعا أيضا لمحمد بن الحنفية ــ أبيات قالها في ابن الحنفية ورد فيها لفظ «المهدي» بمعنى المهدي المنتظر ، حيث قال (14) :

هو المهدي خبرناه كعب أخو الأحبار في الحقب الخوالي

وأنشد سديف قصيدة أمام أبي العباس مؤسس الدولة العباسية وصفه فيها بالمهدي الذي كان يرجوه الناس ، حيث قال (15) :

يا أمير المطهرين من الذم ويا رأس منتهى كل راس
أنت مهدي هاشم وهداها كم أناس رجوك بعد أياس

ويمكن القول بأن كلمة « مهدي » في استعمالها الديني القديم كان القصد منها ، كما يرى البعض ، الاشارة الى السير

---

12 ــ ديوان ابن التعاويذي ، تحقيق مرجليوت ، القاهرة 1904 ، ص 103 .

13 ــ الاصبهاني ، الاغاني ، مرجع سابق ، الجزء الثامن ، ص 32 ــ وفي القصيدة أبيات تشير الى عدم موت ابن الحنفية واختفائه بجبل رضوي الى أن يعود .

14 ــ المرجع السابق ، ص 33 .

15 ــ المرجع السابق ، الجزء الرابع ، ص 93 .

في الطريق القويم أو بمعناها اللغوي الذي ذكرناه من قبل وهو المرشد ، ولم تكن تعني في بداية الأمر «الرجعة» أو الاعتقاد بالمهدي المنتظر (16) •

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن لمصطلح « المهدي المنتظر » مترادفات أخرى مثل « القائم المنتظر » و « الغائب المنتظر » و « الامام المنتظر » و « الامام المختفي » • وكل هذه المصطلحات تعني توقع ظهور انسان في المستقبل أو في آخر الزمان يقضي على الظلم والفساد وينشر الحق والعدل والسلام أو « يملأ الأرض عدلا بعد ما ملئت جورا » • وقد اختلفت العقائد ــ اسلامية وغير اسلامية ــ في تحديد شخص وطبيعة وزمان هذا المصلح • وفي معظم الحالات سيكون « المهدي المنتظر » بعثا جديدا لشخص ظهر من قبل ولكنه مات أو غاب أو اختفى الى أن يحين موعد العودة المظفرة •

* * *

16 ــ جولدتسهير • العقيدة والشريعة في الاسلام • مرجع سابق • ص 276 وما بعدها •

المبحث الثـــاني

المهدي المنتظـــر في العقائد غـير الاسلامية

ان عقيدة « الانتظار » في العقائد الاسلامية وغير الاسلامية، ارتبطت ارتباطا وثيقا بعقيدة « الرجعة » بعد الموت أو بعد « الغيبة » .

وعقيدة الرجعة عقيدة قديمة ، بل وموغلة في القدم . فالسومريون الأوائل الذين سكنوا الجزء الجنوبي من بلاد ما بين النهرين كانوا يعتقدون أن الالاهة «اينان» الاهة الخصب والأمراع تموت في الشتاء وتولد من جديد في الربيع مع موت النباتات وولادتها . كما اعتقد الحيثيون أن «النحل» يوقظ الاله «تيليبينو» النائم . وبصفة عامة كان أهل الديانات الآسيوية القديمة يؤمنون بموت الآلهة وبعثهم لا سيما آلهة الخصب والنباتات ، وكانت الاحتفالات تقام بهذه المناسبات (1) .

وقد كان أهل بابل القدامى يعتقدون برجعة ملكهم القديم « سرجون الأول » . وأنه سيعيد مجد دولتهم من جديد (2) .

---

1 ـ جورج كونتنو ؛ المدنيات القديمة في الشرق الادنى ، ترجمة متري شماس ، المنشورات العربية ، ص 11،33-35 ، 47-49 .

2 ـ جولدتسيهر ؛ العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 192 ، 373 ، 374 .

وتذكر بعض الروايات أن «زرادشت» أخبر في كتاب له «زند أوستا» بأنه سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه «اشيزريكا» ومعناه الرجل العالم ، فيزين العالم بالدين والعدل ، ثم يظهر في زمانه «بتياره» فيوقع الآفة في أمره وملكه عشرين سنة ، ثم يظهر بعد ذلك «أشيزريكا» على أهل العالم ، فيحيي العدل ، ويميت الجور ، ويرد السنن المغيرة الى أوضاعها الأولى ، وتنقاد له الملوك ، وتتيسر له الأمور ، وينصر الدين والحق ، ويحصل في زمانه الآمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن . (3)

وتدل شذرات الأناشيد التي اكتشفت في التركستان الى أن أتباع «ماني» قد مجدوه منذ عهد مبكر باعتباره كائنا الهيا انتقلت اليه صفات « المخلص » و «الانسان الكامل» ، وكان ماني يعتقد أنه خاتم دورة من الأنبياء تتكون من زرادشت وبوذا والمسيح (4) ، وتجدر الاشارة الى أن الايرانيين منذ العهد المزدكي نما لديهم نزوع الى العدالة في صورة المخلصين المنتظرين (ساؤشنت أو ساو سخايانت ومترا ، وبهرام، وسروش ، والرسل المانوية) . ويذهب البعض الى القول بأن ايران ضمت طبقة من الكتاب المتسامين (أي الذين صاروا ساميين) ومن المرجح أن هذه الطبقة كانت هي الملهمة للنزوع نحو العدالة في القرن السادس قبل الميلاد ، وهو العصر الذي نمت فيه النزعات المتعلقة « بالبشير » تحت تأثير «المنفى» الذي تعرض له المشردين الذين أجلوا عن أرض الميعاد . وقد تسامحت ايران مع هذه النزعات آنذاك لدرجة أنها سمحت بعودة هؤلاء المشردين الى

---

3 ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، القاهرة ، الجزء الأول ، ص 238-239 .

4 ـ هانزهينريش شيدر ، نظرية الانسان الكامل عند المسلمين ـ مصدرها وتصويرها الشعري ، ترجمة د . عبد الرحمن بدوي ، الانسان الكامل في الاسلام ، الطبعة الثانية ، وكالة المطبوعات ، الكويت 1976 ، ص 39 .

القدس • ومن المحتمل أن تكون هذه الأفكار قد امتزجت مع بعض خصائص ماوشنت الزرادشتي • (5)

ومن بين فرق المجوس الزرادشتية التي ظهرت في أيام الدولة العباسية في العصر العباسي الأول ، فرقة يقال لها «الساسانية» نسبة الى رجل يدعى «سيسان» من «رستاق بنيسابور» ، قال أصحابه بعد مقتله أنه صعد الى السماء ، وأنه سينزل لينتقم من أعدائه • ومن الفرق الزرادشتية أيضا فرقة تدعى «البيهافريدية» أتباع «بيهافريد» الذي حاول القيام بثورة زرادشتية مناهضة للاسلام في بدء العصر العباسي ، وقد اعتقد أتباعه بعد اعدامه أنه رفع الى السماء وأنه سيعود للدنيا يوما ما للانتقام من أعدائه (6) ويشير ابن النديم الى رجل يدعى « اسحاق » كان داعيا لأبي مسلم الخراساني بعد مقتله ، وكان يزعم أنه نبي أنفذه زرادشت ، وادعى أن زرادشت حي لم يمت ، وأصحابه يعتقدون أنه حي لا يموت وأنه يخرج حتى يقيم هذا الدين لهم (7) •

وفي الديانة اليهودية ، نجد أن فكرة «عبديهوا» عند أنبياء بني اسرائيل تعني فكرة « العادل » المبتلي بالآلام ، والذي يعود ظافرا مسترجعا لكرامته في نهاية الأزمان ، فيكشف بذلك عن « سرمجد العادل » (8) •

ويشير ابن حزم الى أن اليهود يعتقدون أن ملكصيدق بن عامر بن أرفخشد بن سام بن نوح ، والعبد الذي وجهه ابراهيم

---

5 — لوي ماسينسون ، الانسان الكامل في الاسلام ودلالته النشورية ، المرجع السابق ، ص 114 ، جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 195 •

6 — البيروني ، الآثار الباقية ، مراجعة سخو ، ص 194 ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 238—239 •

7 — ابن النديم ، الفهرست ، مكتبة خياط ، بيروت ، ص 344—345 •

8 — لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص 107•

عليه السلام ليخطب لابنه اسحاق عليه السلام ، والياس عليه السلام ، وفنحاس بن العازار بن هارون عليه السلام ، أحياء الى اليوم (9) •

ويرى الشهرستاني أن اعتقاد اليهود في « الرجعة » وقع لهم من أمرين (10) :

1 ــ حديث عزير عليه السلام ، اذ أماته الله مائة عام ثم بعثه •

2 ــ حديث هارون عليه السلام ، اذ مات في التيه ، فاختلفوا في موته ، فمنهم من قال أنه مات وسيرجع ، ومنهم من قال أنه غاب وسيرجع •

ولأن اليهود لم يعترفوا بعيسى عليه السلام ، فما زالوا ينتظرون المسيح ليفرض سيطرتهم على العالم • والمسيح المنتظر عندهم سيكون نبيا وملكا • وكلمة Messiah في اللغة الانجليزية و Messie في اللغة الفرنسية تعني « المخلص المنتظر » • وكلمة « مسيح » أو « مسيحا » في اللغة العبرية تعني « الرجل الذي طهره يهوه » ، أي النبي أو المخلص الذي يرسله « يهوه » لانقاذ بني اسرائيل ، وهذا هو معناها الخاص• أما بمعناها العام فتطلق على الملوك والأنبياء وكل الرجال الذين يقومون بعمل ديني مقدس • ويقرر الشهرستاني أن « المسيحا » الوارد ذكره في مواضع كثيرة من التوراة هو «المسيح» (11) ويضم سفر دانيال نبوءة بمسيح ، بمعنى بشير ، يبتدي في

---

9 ــ ابن حزم ؛ الفصل في الملل والاهواء والنحل ــ الجزء الرابع ، ص 180 .

10 ــ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، **الجزء الأول ، ص 212** .
ويرجح البعض أن فكرة الرجعة يهودية في الأصل أو من البدع اليهودية .
أنظر : يوليوس فلهوزن ، الخوارج والشيعة ، ترجمة د . عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1958 ، ص 248–250 .

11 ــ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 215 ، 219 .

الغمام ويلبس ثوب الناسوت ، وقد وكلت اليه مهمة حكم العالم وحسابه • (12)

وعلى أساس هذا الاعتقاد ، ظهر كثير ممن زعم أنه المسيح المنتظر مثل تيوداس الروماني ، وموسى التكريتي ، وأبو عيسى الأصفهاني (13) ، وساباتاي زفى الأزميري ــ نسبة الى أزمير ــ مؤسس فرقة الساباتاتية أو طائفة « يهود الدونمة » ومنافسه كوهين الذي قدم شكوى ضد ساباتاي للسلطان العثماني بأنه يعد للقيام بتمرد بهدف اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وما زال أتباع ساباتاي الى اليوم يقفون على ضفاف الأنهار ويدعــون «ياساباتاي زفى اننا ننتظرك » (14) •

ويشير الشهرستاني في معرض حديثه عن فرق اليهــود الى فرقة « السامرة » التي تؤمن بأن التوراة ما بشرت الا بنبي واحد يأتي بعد موسى ، والى رجل يقال له «الألفان» ظهر في السامرة وزعم أنه هو الذي بشر به موسى عليه السلام ، وأشار أيضا الى أن اليهود بصفة عامة يعتقدون بخروج واحد في آخر الزمان هو «الكوكب المضيء الذي تشرق الأرض بنوره » ، وهم على انتظاره ، والسبت هو يوم ذلك المنتظر • (15)

وقد حاول كثير من فقهاء اليهود ومتصوفيهم ــ استنادا الى نصوص في سفر التثنية وسفر دانيال ــ أن يقوموا بحسابات

---

12 ــ الكتاب المقدس ، سفر دانيال ، الاصحاح السابع .

13 ــ يقال ان اسم هذا الأصفهاني هو «عوفيد ألوهيم» أي عابد الله ، وقد بدأ دعوته في آخر عهد بني أمية واتبعه كثير من اليهود ، وقد زعم أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر ، وزعم أن الله تعالى كلفه أن يخلص بني اسرائيل من أيدي الأمم الغاصبين والملوك الظالمين ، أنظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 215ــ216 .

14 ــ حول يهود الدونمة وساباتاي زفى أنظر : محمد حرب عبد الحميد ، يهود الدونمة ، مجلة العربي ، الكويت ، فبراير 1980 ، ص 42ــ49 .

15 ــ الشهرستاني ، الملل والنحل ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص 218 ـ 219 .

تأويلية لتحديد وقت ظهور مهديهم المنتظر • وقد كانت هـذه المحاولات محل انتقاد من جانب يهود آخرين دللوا على كذبها وتناقضها • (16)

وفي المسيحيـة ، نجد أن الايمـان بعودة المخلص Parousie هو المعبر عنه في الانجيل بـ « العود الماجد للمسيح » عـلى أساس الاعتقاد بأن المسيح سيعود الى الدنيا من جديد ـ وقد وردت هذه الفكرة في أربعة مواضع في انجيل متى ، وفي سبعة مواضع في رسائل القديس بولس (17) • وفي انجيل لوقا نصان لهما قيمة ملحمية هما : طوبيات موعظة الجبل • ودعاء التمجيد يبشران بمجيء انسان كامل ينصر المظلومين المحرومين من كل شيء والمتعطشين للعدالة • (18)

واذا كان المسيحيون متفقين على أن اليهود قد قتلوا المسيح وصلبوه حسدا وبغيا ، الا أنهم يختلفون في نزوله • فبعضهم يرى أنه سينزل قبل يوم القيامة ، وبعضهم قال لا نزول له الا يوم الحساب ، وبعضهم قال أنه نزل بعد أن قتل وصلب وأن شمعون الصفا قد رآه وكلمه ثم فارق الـدنيا وصعـد الى السماء (19) •

---

16 ـ الكتاب المقدس ، سفر التثنية ، اصحاح 18:31 ، سفر دانيال ، اصحاح 12:11-13 . وقد استند اليهود على كلمتي «هاستير أستير» في محاولة تحديد موعد ظهور المسيح المنتظر تبعا للقيمة العددية لهاتين الكلمتين ، وقد بلغ الأمر ببعض اليهود المتحمسين للبهائية أن استخلصـوا من دفائن العهد القديم ما ينبىء بظهور بهاء الله وعباس ، وزعموا أن كل آية تشيد بمجديهوه ، انما تعني ظهور المخلص للعالم في شخص بهاء الله وتجليه على مقربة من جبل الكرمل المشار اليه في أسفارهم وذلك في نهاية القرن الثامن عشر . كما أولوا ما ورد في الاصحاح 14:8 من ذكر للثلاثمائة والألفين من الأيام بأنها تنتهي تبعا للتقويم المسيحي سنة 1844 م وهي السنة التي ظهر فيها ميرزا على محمد وأوحى اليه أنه الباب . أنظر : جولدتسيهر ،العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 250 .

17 ـ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 107 .

18 ـ أنظر : انجيل لوقا ، الاصحاح الأول ، 46-55 .

19 ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 221 .

وفرقة الدسيتيين المسيحية ـ التي كانت ترى أن المسيح لم يكن له جسم مادي ولا طبيعة بشرية ـ تعتقد أن دوسيتيوس Dositheos مؤسس الفرقة لم يمت ، وتؤمن بخلوده • (20)

وأتباع مذهب الألفيه Millenarisme اعتقدوا في القرون الأولى للمسيحية ، استنادا الى ما ورد في سفر رؤيا يوحنا ، أن المسيح سيعود الى الأرض ليحكمها طوال ألف سنة • وهذا التأويل المسيحي لرؤيا يوحنا الذي يطلق عليه البعض «الالتباس الألفي » يتصل بالملكوت الظافر للمسيح قبل يوم القيامة • (21)

وعند المسيحيين ـ كما عند اليهود أيضا ـ أن النبي «ايليا» قد رفع الى السماء ، وأنه لا بد أن يعود الى الأرض في آخر الزمان لاقامة دعائم الحق والعدل • (22)

ومسيحيو الحبشة ينتظرون عودة ملكهم « تيودور » كمهدي آخر الزمان (23) • ويذكر ابن حزم أن كفار «بوغواطه» ينتظرون «صالح بن طريف» الذي شرع لهم دينهم (24) •

ومن العرب في الجاهلية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وينتظر النبوة ، مثل زيد بن نفيل الذي كان يعتقد الدين الحقيقي (25) ويقال بأن اليهود والنصارى قد بنوا القلاع

---

20 ـ أنظر : د • محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفاء ـ دراسة في الفكر الاسلامي ، رسالة دكتوراه (تحت النشر) ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة 1976 ، ص 271–272 •

21 ـ الكتاب المقدس ، سفر رؤيا يوحنا ، اصحاح 20 :1–3 ، لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ••• ، مرجع سابق ، ص 130 •

22 ـ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 192 •

23 ـ د • محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفاء ••• ، مرجع سابق ، ص 272 •

24 ـ ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، الجزء الرابع ، مرجع سابق ، ص 180–181 •

25 ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 241 •

والحصون بقرب المدينة «يثرب» لنصرة بني آخر الزمان الذي أشار اليه أنبياؤهم وكتبهم (26) •

وفي العقائد الهندية نجد أن «فيشنو» في عقيدة « الفايشنافاس » سيعود الى الظهور في نهاية العهد الحالي للعالم ، وذلك لكي يخلص الهند من حكامها الظلمة وهم فاتحوها من المسلمين •

ولا يزال المغول يعتقدون بأن «جنكيزخان» كان قد وعد قبل موته أنه سيعود الى الدنيا بعد ثمانية قرون أو تسعة لكي ينقذ المغول من نير الحكم الصيني • (27)

ولعلنا لا نكون مبالغين اذا قلنا بأن الفكر السياسي الغربي انطوى على بعض الأفكار التي تحمل بعض ملامح فكرة «المهدي المنتظر » أو المخلص أو المنقذ • ونكتفي في هذا الصدد بالاشارة الى نموذجين من الفكر السياسي الغربي في العصور القديمة وأوائل العصور الحديثة •

النموذج الأول ، هو فكرة «الحاكم الفيلسوف » أو «المعلم» أو «العالم» الذي تصور أفلاطون (427ـ347 ق•م) أنه سينقذ دولة المدينة من فوضى الديمقراطية وآثارها السيئة (28) وأن

---

26 ـ المرجع السابق ص 209ـ210 .

27 ـ د.فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفاء ... ، مرجع سابق ، ص 272 .

28 ـ ترجع كراهية أفلاطون للديمقراطية الى عاملين أساسيين : أولهما : هو أن ديمقراطية أثينا لم تستطع الوقوف أمام أوليجارشية «اسبارطة» العسكرية في حرب البلوبونيز التي نشبت بينهما عام 431 ق.م والتي انتهت بهزيمة أثينا عام 404 ق.م ، كما أن تصرفات وسياسات قادة الديمقراطية في أثينا خلال الحرب أتاحت فرصا للنقد خاصة بالنسبة لرجل لم يع مشاعر التمزق العنيفة التي عمت الأثينيين لانهيار مثلهم العليا العظيمة . وثانيهما : أنه بعد خمسة أعوام فقط من تلك الهزيمة ، وقعت حادثة أخرى أكدت كراهية أفلاطون للديمقراطية في أثينا ، ألا وهي اعدام سقراط Socrates أستاذ أفلاطون وأحد الشخصيات المرموقة في ذلك العصر . أنظر :

Plato, the laws, translated by : Travor J. Saunders, Penguin Books 1975, the introduction, pp. 18-20.

وجود هذا الحاكم الفيلسوف المطلق هو السبيل لاقامة المدينة الفاضلة ، وأن هذا الفيلسوف أو «رئيس المدينة الفاضلة» هو الذي يتشبه بمثال الخير «الله» في تصرفاته وفي رئاسته للمدينة الفاضلة على ضوء «نظرية المثل» ، وأن الدولة حينما يحكمها « العقل » ــ أي الفيلسوف ــ فانها تحاكي عالم السماء ، وتكون كالمثال حين ينزل من السماء الى الأرض ويعيش بين الناس . ويكون حاكمها الفيلسوف «ممثولا» لمثال الخير ، لأنه يعرف كيف ينظم حياته وحياة المجتمع وفقا للخير ، وهو الذي يدرك أنموذج الدولة المثلى ، ويحاول أن يرسم دولته على أساس هذا الأنموذج القائم في السماء لمن شاء أن يطالعه (29) .

والنموذج الثاني ، هو «الأمير» الذي اعتقد ماكيافيلي (1469 ــ 1527) أنه هو الذي يستطيع أن يجمع من عناصر القوة ما يمكنه من تحقيق وحدة الدولة وتقويتها والمحافظة على قوتها ، أو يمكنه من اصلاح دولة فاسدة . هذا الأمير ــ كما يرى ماكيافيلي ــ هو الذي يضع القوانين التي تولد أخلاق الشعب وفضائله ، وهو الذي يتسم بالحكمة وبعد النظر ، وهو الذي يستطيع أن يقضي على الدولة الفاسدة ، ويقيم مكانها دولة فاضلة ، فالدولة الناجحة « يجب أن يؤسسها رجل واحد » . وفي هذا المعنى يقول ماكيافيلي : يجب أن نفترض كقاعدة عامة ، أنه لا يحدث أبدا ، أو أنه نادرا

---

29 ــ أنظر : أفلاطون ، الجمهورية ، ترجمة وتقديم د.فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1974 ، ص 58ــ59 ، 546 ؛ د.عثمان أمين ، الروح الأفلاطوني ، دراسات فلسفية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1974 ، ص17ــ28 ، 32 ، جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ، ترجمة حسن جلال العروسي وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة 1963 ، الجزء الأول ، ص 48ــ59 ،

T.A. Sinclaire, A History of Greek Political Thought, London 1959, p. 245.

ما يحدث أن تقام جمهورية أو ملكية ، على أساس طيب أو أن تصلح نظمها القديمة كلها ، الا اذا فعل هذا فرد واحد فقط ، بل من الضروري أن من تصور عقله مثل هذا الانشاء يجب ، أن ينفرد باخراجه الى حيز التنفيذ (30) .

ولعل نقطة الالتقاء الرئيسية بين أفكار كل من أفلاطون وماكيافيلي مع العقائد المهدوية هي أنها كانت تعكس عدم الرضا عن الأوضاع القائمة ، سواء في دولة المدينة عند أفلاطون ، أو في المدن والدويلات الايطالية عند ماكيافيلي ، أو عند جل أصحاب العقائد المهدوية . واذا كانت بعض الأفكار المهدوية قد انحصرت في كونها مجرد فلسفة سياسية مثل التصورات المثالية لأفلاطون وأرسطو . الا أن العديد من الحركات المهدوية ــ لا سيما الاسلامية منها ــ لم تقف عند مجرد الفلسفة ، بل كانت «سياسات تطبيقية » من أجل احداث تغييرات معينة في الواقع السياسي والاجتماعي .

* * *

30 ــ يمكن الرجوع الى تفاصيل حول أفكار ماكيافيلي في أهم كتاباته وهي : الأمير ، تعريب خير حماد : بيروت 1960 ، مطارحات ماكيافيلي (دراسات الكتب العشرة الأولى لتيتوس ليفيوس) ، بيروت 1962 .

المبحث الثالث

الشواهد المهدوية عند المسلمين بصفة عامة

يحلو للبعض أن يرجع كل فكرة اسلامية الى أصول أجنبية. وبالرغم مما قد يكون هناك من نفع علمي للبحوث التي تعمد الى استخلاص العناصر الأجنبية في الفكر الاسلامي ، الا أنه قد يلابسها التسرع في الحكم على القيمة الذاتية لهذا الفكر الاسلامي الذي اتصل في تطوره - وبصفة خاصة منذ عصر الترجمة - بالفلسفات الأجنبية ، وكان بينهما تمازج وتدافع حسب الملابسات والقضايا المختلفة ، مما أدى الى ظهور فلسفة اسلامية متميزة مشبعة بالعناصر الخاصة ومختلفة بلا ريب عن الفلسفات الأجنبية التي اتصلت بها (1) . وقد بلغ الامتزاج والاختلاط بين المسائل الاسلامية وعناصر الفلسفات الأجنبية حدا جعل ابن خلدون ، وهو في معرض المقارنة بين طريقة الفلاسفة وطريقة رجال علم الكلام ، يقول : «ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين ، والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفنين عن الآخر ، ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم » (2) .

---

1 - أنظر : مصطفى عبد الرازق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1966 ، ص 45، 47، 98 .

2 - ابن خلدون ، المقدمة ، دار الشعب ، القاهرة 1973 ، ص 430 .

ان التشابه بين فكرتين لا يدل دلالة قطعية على أن احداهما مقتبسة من الأخرى • كما أنه ليس من المحتم أن نوجد لكل فكرة اسلامية مصدرا خارجيا • فالمشكلات التي عرضت للفكر الاسلامي قد تتشارك وتتداخل في طرق أو خطط معالجتها ، بل وفي بعض نتائج بحثها مع الأفكار الأجنبية ، وذلك بحكم كونها مشكلات انسانية تعرض لكل عقل بشري ، وعلى هذا ، فحين نعمد في بحثنا الى ابراز أوجه الشبه بين بعض الأفكار التي ظهرت في الفكر الاسلامي ، وبين بعض الأفكار المشابهة في الفلسفات اليونانية أو الفارسية أو الهندية ، فاننا لا نقصد ابراز الأثر الأجنبي في الفكر الاسلامي أو الفلسفة الاسلامية ، بقدر ما نهدف الى ابراز الامتزاج والتزاوج أو أوجه الشبه بين عناصر كل هذه الفلسفات •

وفي اطار موضوع بحثنا الحالي ، يمكن القول بأن الاعتقاد في الرجعة بعد الموت أو بعد الغيبة ليس بعيدا عن روح الاسلام أو العقيدة الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف • ففي هذين المصدرين الرئيسيين اشارات صريحة أو ضمنية الى فكرة الرجعة أو الغيبة ، ومن أمثلة ذلك ، ما ورد بصدد أهل الكهف ، وياجوج وماجوج ، والمسيح الدجال ، وأدريس عليه السلام ، والخضر ، وعيسى بن مريم عليه السلام •

فقد تعرض القرآن في سورة الكهف لأولئك الفتية المؤمنين، وقد آووا الى الكهف رافضين الارتداد عن دينهم ، وأن الله سبحانه وتعالى قد هيأ لهم من أمرهم رشدا في ذلك الكهف الذي لبثوا فيه ثلاثمائة وتسعة سنين ، ثم بعثهم الله أحياء في الدنيا بعد هذه الفترة الطويلة ليعلموا ويعلم الناس أن وعد الله حق (3) ويحلو لبعض المستشرقين أن يقابلوا بين أهل الكهف

---

3 — قرآن كريم ، سورة الكهف ، معنى الآيات 9—26 . وانظر أيضا ما ورد في القرآن الكريم حول احياء الله لنفس قتلت لتكشف الحقيقة وصاحب الحمار الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه والطيور الأربع التي أحياها الله لنبيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قرآن كريم ، سورة البقرة ، الآيات 72،73،259، 260) •

النائمين ، وبين رؤيا يوحنا الموجهة الى « الكنائس السبع النائمة » بصدد اعلان عودة الحاكم المنتقم أو الروح المزودة بالعناية الالهية (4) •

وتوجد في القرآن الكريم أيضا ، اشارة الى السد العظيم الذي يحول دون خروج ياجوج وماجوج لاثارة الذعر ونشر الفتن والخراب والدمار ، وأن هذا السد سيفتح في آخر الزمان « حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون » (5) اشارة الى اقتراب الوعد الحق •

والدجال ، الذي يعبر عنه في التصوير العبري بأنه المسيح المضاد للمسيحية والذي سيولد — وفقا لنص مسيحي — من « أسقف وراهبة عبرية » والذي ستكون له معجزات شبيهة بمعجزات عيسى عليه السلام ، تصوره الأحاديث التي تنسب الى الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، على أنه سيحتل عند مجيئه في آخر الزمان جميع البحيرات العذبة ، وأنه سيحاصر المدينة ومكة والقدس وشبه جزيرة سيناء (6) • وتصف بعض هذه الأحاديث المسيح الدجال بأنه رجل أحمر جسيم ، أعور العين (اليسرى في بعض الأحاديث ، واليمنى في بعض آخر)، أجلى الجبهة ، جعد قطط ، معه جنة ونار ، يرد الناس عن الايمان بالله ، معه طعام وشراب في وقت يشتد فيه البلاء على الناس .

---

4 — لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص 118 •

5 — قرآن كريم ، سورة الأنبياء ، الآية 96 • وقد جرت العادة على أن تقرأ سورة الكهف للعياذ من «يأجوج ومأجوج» الذي ينظر اليه أحيانا على أنه « المسيح الدجال» (ابن ماجة ، السنن ، الجزء الثاني ، ص511—513) وينظر أحيانا أخرى الى «يأجوج ومأجوج» على أنهم جحافل الترك أو الغز الكفرة أو الصينيون «قوم وجوههم كالمجان المطرقة ، صغائر الأعين ، خنس الأنوف ، يلبسون الشعر » (شرح النووي على صحيح مسلم ، الجزء الثامن عشر ، ص 37 ، أبو داود ، السنن ، الجزء الخامس ، ص 106—107 ، لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص 117) •

6 — ابن ماجة ، السنن ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 514 •

ويأتي من قبل المشرق طالبا المدينة ولكنه يتجه نحو الشام حيث يقتله عيسى بن مريم عليه السلام أو يقتله المهدي المنتظر أو يتعاونان على قتله حسب اختلاف الروايات (7) •

والنبي أدريس عليه السلام (وهو هرمس عند الحكماء . وخنوخ أو أخنوخ في التوراة أو الياس) ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى « واذكر في الكتاب أدريس انه كان صديقا نبيا ، ورفعناه مكانا عليا » (8) ويرى بعض المفسرين أن المقصود بالرفع أنه رفع الى السماء الرابعة حيث قبضت روحه هناك . واكتفى الحكماء بالقول بأن الله رفعه اليه (9) ويرى البعض أن ما جاء في بعض كتب المسلمين حول أدريس عليه السلام من أخبار لم تؤيد بنقل صحيح ولم يعضدها نص قاطع ولا تقرها الأدلة التاريخية أو الأثرية (10) •

و « العبد الصالح » الوارد ذكره في القرآن الكريم في سورة الكهف (11) والذي قيل بأنه «الخضر» أو « بليا بن ملكان » أو «أليسع» أو «الياس» أو «عامر» أو «أحمد» قد اختلف في أمره ، هل هو حي اليوم أو ميت ؟ وقد أنكر البخاري ومسلم وابن تيمية وابراهيم الحربي وابن الجوزي وغيرهم أن يكون حيا الى اليوم (12) • بينما تذهب بعض الروايات الى

---

7 ـ يمكن الرجوع للاحاديث النبوية في صدد الدجال وأوصافه الى : الترمذي ، السنن ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 507–516 ، ابن ماجة ، السنن ، مرجع سابق ، ص 1353 ـ 1361 ، البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 265–266 ، 332 ، 333 ، مسلم ، الجامع الصحيح ، الجزء الأول ، ص 120 ، الجزء الثاني ، ص 107–108 .

8 ـ قرآن كريم ، سورة مريم ، الآيتان 56،57 .

9 ـ عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، دار احياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ص 24–28 ، وفي الكتاب المقدس توجد اشارات مقتضبة عن اخنوخ مثل «وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » (الكتاب المقدس) ، سفر التكوين ، اصحاح 5:24) .

10 ـ عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، مرجع سابق ، ص 29 .

11 ـ قرآن كريم ، سورة الكهف ، الآيات 60–82 .

12 ـ عبد الوهاب النجار ، قصص الانبياء ، مرجع سابق ، ص 296 .

أنه حي وسيظهر في فتنة الدجال ويستشهد • (13) ويزعم بعض صوفية الأتراك أن الخضر والياس عليهما السلام حيان الى اليوم • وادعى بعضهم أنه يلقى الياس في الفلوات • ويلقى الخضر في المروج والرياض وأنه متى ذكر حضر على ذاكره(14)•

وبالنسبة لعيسى بن مريم عليه السلام ، فآيات القرآن الكريم تشير الى أنه لم يقتل ولم يصلب وانما رفع الى السماء • ومن هذه الآيات قوله تعالى « وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وأن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وماقتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما»(15)، وقوله تعالى « اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا •• » (16) وقد اختلف المفسرون في وفاة عيسى بن مريم ورفعه ، فمن قائل بأن الرفع تم قبل الوفاة ، ومن قائل بأن المراد بالوفاة النوم وأن الله سبحانه رفع عيسى الى السماء وهو نائم رفقا به ، ومن قائل أخذه وافيا بروحه وبدنه ، ومن قائل بأن المراد بالوفاة موت القوى الشهوانية العائقة عن اتصاله بالملكوت ، ومن قائل بأن الله توفاه بضع ساعات ثم أحياه (17) •

ويرى البعض أن في قوله تعالى «وانه لعلم للساعة » (18) انما المقصود به التحدث عن عيسى باعتباره تذكيرا بفناء الدنيا . حيث أنه سينزل في آخر الزمان حسب ما هو معتقد لدى جمهور

---

13 ــ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص127ــ128 •

14 ــ ابن حزم ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 180 •

15 ــ قرآن كريم ، سورة النساء من الآية 157 والآية 158 •

16 ــ قرآن كريم ، سورة آل عمران ، من الآية 55 •

17 ــ عبد الوهاب النجار ، قصص الانبياء ، مرجع سابق ، ص 422ــ424 •

18 ــ قرآن كريم ، سورة الزخرف ، الآية 61 •

المسلمين ، ويقتل المسيح الدجال (19) وان كان البعض لا يطمئن الى الأخبار المروية عن طريق روايات الآحاد ، ومن ثم لا يعتقدون اعتقادا جازما بأن عيسى رفع حيا الى السماء ، وأنه سينزل الى الأرض لقتل المسيح الدجال ، ويرون أن المسيح والمسيح الدجال ما هي الا رموز للخير والشر (20) •

وفي الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا » (21) وفي حديث آخر « اذا نزل عيسى بن مريم الصبح ••• » ، وفي حديث آخر « ••• فيكون عيسى بن مريم عليه السلام في أمتي حكما عدلا واماما مقسطا •• » ، وفي حديث آخر « لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم حكما مقسطا ••• » (22)

وهكذا أنكر المسلمون ـ استنادا الى ما ورد في القرآن والحديث ـ قتل عيسى ، وأثبتوا رفعه الى السماء ، وقالوا أنه ينزل الى الأرض بوصفه «القائم» آخر الزمان (23) • ورغم الآثار المسندة الثابتة في صدد نزول عيسى ، عليه السلام ، الا أن هناك خلطا بين المسيح المنتظر والمهدي المنتظر ، ولعل مصدر هذا الخلط هو الفهم المتفاوت للحديث الذي رواه الحسن البصري والشافعي وهو حديث « لا مهدي الا عيسى » (24) •

---

19 ـ هانز هينرش شيدر ، نظرية الانسان الكامل عند المسلمين ... ، مرجع سابق ، ص 115 وما بعدها .

20 ـ عبد الوهاب النجار ، قصص القرآن ، مرجع سابق ، ص 424ـ425 ، 427،430 .

21 ـ الترمذي ، السنن ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 506ـ507 .

22 ـ ابن ماجة ، السنن ، مرجع سابق ، ص 1361ـ1363 .

23 ـ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 332ـ333 ، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 180 .

24 ـ يمكن الرجوع لهذا الحديث في : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، الجزء الثالث ، ص 52 ، العسقلاني ، لسان الميزان ، لفظة «مهدي» ، السبكي ، الطبقات ، الجزء الأول ، ص 280ـ281 ، ابن خلدون المقدمة ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 188ـ189ـ194 ، القندوزي ، الينابيع ، ص 434 ، التنوخي ، الاذاعة ، ص 64 .

فقد اعترف بصحة هذا الحديث العديد من المحدثين السنيين كابن ماجة وابن خزيمة وابن زياد النيسابوري وابن أبي حاتم الرازي والساجي البصري والقزويني قاضي دمشق والطحاوي ويعقوب الاسفرائيني والطرائفي ، كما اعترف به في مضمونه المستنيرية والمنصورية من الشيعة ، وأحمد بن خابط والمفضل الحدثي من المعتزلة . ولعل هذا الخلط يرجع الى عدة اعتبارات أهمها :

1 ــ أن بعض المسلمين يرى أن القائم أو المهدي المنتظر سيكون هو عيسى عليه السلام ، واذا لم يكن هو عيسى نفسه ، فانه سيكون شخصا « زعيما لا يقهر » تهبط عليه روح عيسى ويهتدي بهدايته (25) ، وقد حاول البعض كالقرطبي أن يؤكد عدم وجود تعارض بين نزول كلا من المسيح المنتظر والمهدي المنتظر ، فقرر أن حديث « لا مهدي الا عيسى » معناه تعظيم شأن عيسى بن مريم عليه السلام على المهدي، أي أنه لا مهدي الا عيسى لعصمته وكماله ، فلا ينافي وجود المهدي ، كقولهم لا فتى الا علي (26) .

2 ــ ان الهدف من نزول عيسى ، عليه السلام ، ومن نزول المهدي عند جمهور المسلمين ــ وعند بعض المفكرين المسلمين ــ واحد ــ فالمسيح سيعمل ، مثل المهدي ، على أن يملأ الأرض عدلا ومساواة كما ملئت عسفا وجورا ، ويعيد الدين الحقيقي ، ويمارس وظيفته فترة ذهبية قصيرة لا تقل عن سبع سنين ولا تزيد عن تسع سنين قبل نهاية العالم . وبعض الروايات تميز المسيح عن المهدي ، وتذهب الى أن المسيح سيذبح الخنازير وسيحطم الصليب

---

25 ــ أنظر : Encyclopaedia Britanica, 1972, vol. 14, Art : Mahdi, p. 631.

وانظر أيضا : اوي ماسينيون الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص 125–126 .

26 ــ محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، مادة «المهدي» ، ص 477 .

وسيدحض اليهود (27) وفي هذا المعنى ينسب للرسول عليه الصلاة والسلام ، قوله « حتى ينزل عيسى بن مريم حكما مقسطا واماما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير » (28) وباستثناء هذا الفارق البسيط بين المسيح والمهدي ، فان عصر كل منهما ـ على ضوء الأحاديث النبوية التي رويت في هذا الصدد ـ سيكون عصر سلام ورخاء ورفاهية كاملة (29) •

3 ـ لقد لجأ علماء المسلمين الى استخدام أسلوب التأويل الرمزي وحساب الجمل والحروف لتحديد موعد قيامة أو ظهور المسيح المنتظر ، كما استخدموا نفس الأسلوب أيضا لتحديد موعد ظهور المهدي المنتظر (30) بل أن

---

27 ـ المرجع السابق ، ص 477 ، لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص 129 ، وانظر أيضا :

Enclyclopaedia Britanica, op. cit., Art : Mahdi, p. 631.

28 ـ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 332–333 ، ابن ماجة، السنن ، مرجع سابق ، ص 1363 •

29 ـ وفقا للاحاديث النبوية المروية في هذا الصدد ، فان مهمة المسيح عليه الاسلام هي أن « يضع الجزية ويترك الصدقة ، فلا يسعى على شاه أو بعير ، وترفع الشحناء والتباغض ، وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره ، وتضرب الوليدة الأسد فلا يضرها ، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها ، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الاناء من الماء ، وتكون الكلمة واحدة ، فلا يعبد الا الله ، وتضع الحرب أوزارها ، وتسلب قريش ملكها ، وتكون الأرض كناثور الفضة تنبث نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ... » (المرجع السابق ، ص 1362) ، وتشتمل أحاديث المهدي على نفس هذه الأوصاف ، حيث تنعم الأمة في عهده « نعمة لم ينعموا مثلها قط ، تؤتي أكلها ولا تدخر منهم شيئا ، والمال يومئذ كدوس ... » (المرجع السابق) ، ص 1366–1367) وفي عصر المهدي تمتلىء الأرض قسطا وعدلا » يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدع السماء ، من قطرها شيئا الا صبته مدرارا ، لا تدع الأرض من نباتها شيئا الا أخرجته، حتى يتمنى الأحياء العيش » ، «ويظهر الاسلام ويكثر فيه المال (محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 476–477) ، حتى أن العنقود ليكون سكن أهل الدار ، ويطيب الزمان حتى لا يستطال ، (ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، الجزء الأول ، ص 386 ؛ الجزء الرابع ، ص 33) •

30 ـ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص 121–122 •

الروايات حول مواضع نزول المسيح والمهدي المنتظر تكاد تكون واحدة « عند المنارة البيضاء شرقي دمشق » (31) أو على المئذنة البيضاء في شرقي دمشق » ، وهي المئذنة الشرقية في المسجد الأموي بدمشق وتعرف باسم مئذنة عيسى (32) .

4 ـ ان الفتن والقلاقل والاضطرابات والقحط الذي يسبق ظهور المسيح المنتظر والمهدي المنتظر تتشابه هي الأخرى الى حد كبير . ففتنة الدجال وهجوم ياجوج وماجوج يكونان في وقت بلاء وشدة كما ورد في الأحاديث (33) .

ومن هذه الآثار التي تستمد بعض أسانيدها من القرآن الكريم والحديث الشريف ، نجد أن الايمان بالغيبة والانتظار والرجعة له أصوله الاسلامية . ومن ثم ، فان عقيدة المهدي المنتظر ليست غريبة تماما عن هذه الأصول .

---

31 ـ ابن ماجة ، السنن ، مرجع سابق ، ص 1357 .

32 ـ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص 129 .

33 ـ تذكر الأحاديث مدة هذا البلاء بأنها «ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد » (ابن ماجة ، السنن ، مرجع سابق ، ص 1363) كما تذكر أيضا عمليات السلب والنهب التي تقع في أرض بابل «في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة » ، يعني مدينة بغداد ، وفي الكوفة ، وفي المدينة . كما تذكر أيضا هلاك القائمين بهذه الفتن وهم في طريقهم الى مكة « لمحاربة المهدي ومن معه » ، بل أن بعض الأحاديث تشير الى فتن مماثلة تحدث في المغرب والأندلس . كما تورد بعض هذه الأحاديث أيضا البلاء الذي يصيب الأمة قبل ظهور المهدي من آل البيت ، وسيصل هذا البلاء الى درجة « لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم » (أنظر : محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 472-478 حيث أورد بعض هذه الأحاديث بالتفصيل) . كما أن ما ذكر من أحاديث أيضا حول استيلاء المسيح على القسطنطينية ثم انتصاره على الدجال وقتله في اللد ، يشبه الى حد كبير ما ورد من أحاديث أيضا حول سيطرة المهدي المنتظر على جبل الديلم والقسطنطينية وقتله للدجال في أنطاكية (المرجع السابق ، ص 479 ، لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص 125 ، 129) .

ولعل من أهم الدلائل على الجذور الاسلامية العربية ، ظهور الفكرة البشيرية منذ فجر الاسلام في اليمن العربية ، والقائلة بانتظار « مخلص » يعيد العدل الى نصابه في صورة « القحطاني » ذي العصا « منصور اليمن » (34) • فالصورة الاجمالية لهذه الفكرة البشيرية تبدو عربية خالصة رغم ما يلمح اليه البعض من تأثير الجاليات اليهودية والايرانية التي كانت موجودة في اليمن آنذاك والتي لم تندمج في القبائل العربية — عن طريق الولاء — الا بعد اسلامها (35) •

واذا لم تكن لفظة «المهدي» قد وردت في القرآن الكريم ، الا أنه قد وردت في الكتاب الكريم لفظة «هدى» ومشتقاتها (36) • والهدى في القرآن الكريم لا يخرج عن المعنى اللغوي الذي سبقت الاشارة اليه في صدر هذا البحث •

أما الحديث ، فهو المجال الأرحب لورود لفظة « المهدي » لغة واصطلاحا • فقد ورد في الحديث — كما يقول ابن منظور — قول الرسول عليه الصلاة والسلام » سنة الخلفاء الراشدين المهديين » • والمهدي هنا تعني من هداه الله الى الحق (37) وقد استعملت لفظة «المهدي» في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة ، وبه سمي المهدي الذي بشر النبي صلى الله

---

34 — كان ابن سيرين في القرن الأول الهجري يرى أن القائم هو القحطاني • انظر : لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص 126 •

35 — المرجع السابق ، ص 114 •

36 — وردت لفظة هدى ومشتقاتها 314 مرة في القرآن الكريم ، مثل هدى وهداكم وهدانا والهداية وهدينا وأهد وتهد ويهدي واهدنا وهاد واهتديت • واهتدى وتهتدون ومهتد والهدى وهديا • أنظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، القاهرة 1970 • المجلد الثاني ، مادة «هدى» ، ص 785—796 •

37 — ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، الجزء العشرون ، ص 229 — 231 •

عليه وسلم أنه يجيء في آخر الزمان (38) • ولم تورد جميع كتب الحديث والسنة الأحاديث الخاصة بالمهدي المنتظر • ومن بين كتب الحديث التي أوردت أحاديث المهدي نجد سنن أبي داود ، وسنن ابن ماجة ، وسنن الترمذي ، وغريب الحديث لابن الأثير . والتذكرة القرطبية للقرطبي •

فأبو داود يذكر في سننه في كتاب المهدي أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال « او لم يبق من الدنيا الا يوم ، لطول الله ذلك اليوم ، حتى يبعث فيه رجلا مني (أو من أهل بيتي) يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » • ويورد من حديث سفيان « لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي » • ويذكر عن علي بن أبي طالب قوله « لو لم يبق من الدهر الا يوم ، لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا » وعن أم مسلمة أنها قالت « سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول « المهدي من عترتي من ولد فاطمة » وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم « المهدي مني أجلى الجبهة أقني الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ويملك سبع سنين » • وعن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال « يخرج رجل من أهل المدينة هاربا الى مكة ، فيأتيه ناس من أهل مكة ، فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث اليه بعث من أهل الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه بين الركن والمقام ، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب ، فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل

38 – المرجع السابق ، ص 229 .

في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ويلقى الاسلام بجرانه في الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه ، المسلمون » • وروى بعضهم عن هشام أن المدة « تسع سنين »• وعن أبي اسحاق أن عليا بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، نظر الى ابنه الحسن وقال « ان ابني هذا سيد كما سماه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ، صلى الله عليه وسلم ، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق » ، ثم ذكر قصة « يملأ الأرض عدلا » وعن علي أيضا أنه قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطيء أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم » وجب على كل مؤمن نصره » أو « اجابته » (39) •

وابن ماجه يذكر في سننه في « باب خروج المهدي » قول رسول الله صلى الله عليه وسلم » ••• ان أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود ، فيسألون الخير فلا يعطونه ، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطا كما ملؤوها جورا ، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج » وفي رواية لثوبان « فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج ، فانه خليفة الله المهدي » • وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال « يكون في أمتي المهدي ، ان قصر فسبع ، والا فتسع • فتنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط ، تؤتي أكلها ولا تدخر منهم شيئا ، والمال يومئذ كدوس ، فيقوم الرجل فيقول : يا مهدي اعطني ،

---

39 ـ أبو داود ، السنن ، القاهرة 1371 هـ ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، كتاب المهدي ، ص 421-424 •

فيقول : خذ • وعن علي بن أبي طالب أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال « المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة » • وعن سعيد بن المسيب أن أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « المهدي من ولد فاطمة » • وعن أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول: « نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة ، أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي » (40) • وعن الحرث الزبيدي قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم « يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي » أي يمهدون لسلطانه • (41)

وأورد الترمذي في سننه في «باب ما جاء في المهدي » عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم قوله « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي » • وقوله أيضا « يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي » • وعن أبي هريرة قوله « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي » • وقوله عليه الصلاة والسلام « ان في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا ••• ، فيجىء اليه رجل فيقول يا مهدي : اعطني اعطني » • فيحثى له في ثوبه ماستطاع أن يحمله (42) • ويضيف ابن الأثير على هذا الحديث « حتى أن العنقود ليكون سكن أهل الدار » أي يكفي لقوتهم من بركته ، (43) ثم يذكر أيضا أن في عصره ـــ أي المهدي ـــ

40 ـ يلاحظ أن الحديث لم يشر الى العباس بن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام .

41 ـ أنظر : ابن ماجه ، السنن ، القاهرة 1972 ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 1366 ـ 1368 .

42 ـ أنظر : الترمذي ، الجامع الصحيح ، القاهرة ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 505–506 .

43 ـ أنظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، القاهرة 1383 هـ ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 386 ، وهذه الأفكار حول مجتمع الوفرة راودت الفلاسفة المثاليين منذ القدم ، وما زالت تراود الشيوعيين وتصوراتهم الخيالية حول المجتمع الشيوعي الذي يؤدي فيه الانسان من العمل قدر استطاعته ويحصل على كل ما يحتاج اليه .

يطيب الزمان حتى لا يستطال ، ولذا يقال أنه ورد في حديث المهدي « يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر » (44) ويضيف ابن الأثير أحاديث أخرى في صفة المهدي من أنه « أجلى الجبهة » و « أزيل الفخذين » أي منفرجهما ، وأنه « قرشي يماني ليس من ذي ولا ذو » أي لا ينتسب الى أذواء اليمن (45) .

والامام القرطبي في «التذكرة القرطبية» يورد أحاديث المهدي التي أخرجها ابن ماجه وأبو داود والترمذي وغيرهم ، ويوافق على ما ذكرته هذه الأحاديث بصدد المهدي المنتظر ، بل ويؤول بعض الأحاديث ليوفق بينها وبين أحاديث أخرى قد تبدو متعارضة ، مثل حديث « لا مهدي الا عيسى » الذي أشرنا اليه من قبل . وينسب للقرطبي أنه أورد أحاديث غريبة في صدد أوصاف المهدي ومعاركه مع السفيانيين وملوك الروم والمجوس ، وفي صدد جهة خروجه ، حيث يذكر أحيانا أنه سيخرج من المغرب الأقصى أو من الأندلس ، وأحيانا أخرى من جبل الديلم والقسطنطينية ، ويذكر حوادث طبيعية تكون مقدمات لخروجه مثل كسوف الشمس مرتين في رمضان الذي يسبق ظهوره ... الخ (46) .

وهكذا يتضح أن عقيدة المهدي في الاسلام والقول بالغيبة والرجعة والانتظار تستند الى شواهد اسلامية نابعة من تأويلات القرآن والأحاديث النبوية وان لم يكن هناك اتفاق بين فقهاء السنة على وجه الخصوص في صدد أحاديث المهدي المنتظر .

* * *

44 ـ المرجع السابق ، الجزء الرابع ، ص 33 .

45 ـ أذواء اليمن هم ملوك حمير ، منهم ذويزن وذو رعين ، ولذا ورد في حديث جرير « يطلع عليكم رجل من ذي يمن على وجهه مسحة من ذي ملك » (المرجع السابق ، الجزء الثاني ، ص 172ـ173 ، وانظر أيضا ص 290، 235 من نفس الجزء) .

46 ـ أنظر مختصر للتذكرة القرطبية أعده عبد الوهاب الشعراني في : محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 475 ـ 477 .

المبحث الرابع

عقيدة المهدي المنتظر عند أهل السنة

لم تحظ الأحاديث حول « المهدي المنتظر » بالاجماع على صحتها من جانب فقهاء وعلماء ومفكري السنة ـ فلم يرد لها ذكر عند البخاري أو مسلم على سبيل المثال (1) اللهم الا ما ذكره ابن ماجه من أن البخاري علق على الحديث الذي روى عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن علي بن أبي طالب أنه قال «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة » بقوله « في اسناده نظر » أو « فيه نظر » (2) وابن ماجه نفسه يصحح بعض أحاديث المهدي ويضعف البعض الآخر . فبينما يصحح مثلا الحديث الذي ورد فيه « فان رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي » ، الا أنه يضعف الأحاديث التي رويت عن طريق عمرو بن جابر الحضرمي وعبد الله بن لهيفة مثل حديث « يخرج أناس من المشرق فيوطئون للمهدي (3) .

---

1 ـ أورد الامام مسلم أحاديث حول الدجال وصفاته ولكن لم نطالع عنده أحاديث حول المهدي . أنظر : مسلم ، الجامع الصحيح ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 107-108 .

2 ـ ابن ماجه ، السنن ، مرجع سابق ، ص 1367 ، ويذكر البعض أن البخاري روى حديث « المهدي يظهر في شرقي منارة دمشق وأن المسيح يصلي خلفه (سيد كيلاني ، ذيل الملل والنحل ، ملحق بكتاب الشهرستاني « الملل والنحل » ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 58) .

3 ـ ابن ماجه ، السنن ، مرجع سابق ، ص 1367-1368 .

ويمكن القول بأن الاعتقاد في المهدي المنتظر عند أهل السنة كان محل خلاف ، حيث نميز في هذا الصدد بين اتجاهين رئيسيين :

1 ــ بعض علماء أهل السنة جمعوا الأحاديث المتعلقة بالمهدي . فعلاوة على ابن ماجة وأبي داود والترمذي والقرطبي وابن الأثير الذين جمعوا بعض الأحاديث كما أشرنا ، نجد أن هناك بعض العلماء الذين عنوا بتصنيف كتب حول المهدي المنتظر . ومن أمثلة هؤلاء الفقيه شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي المتوفي سنة 973 هـ ــ 1565 م ، حيث صنف كتابين حول المهدي وأورد العديد من الأحاديث والحوادث التي تواكب ظهوره ، وهذان الكتابان هما : كتاب « القول المختصر في علامة المهدي المنتظر » (4) ، وكتاب « الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة » (5) .

وهذه الاشارات من جانب بعض أهل السنة تعكس اعتقادهم بمجيء مصلح الى العالم آخر الزمان يبعثه الله ، ويسمونه أيضا بالامام المهدي ، أي الذي هداه الله الى الطريق السوي (6) بل أن هناك بعض الآراء المعاصرة تؤكد أحاديث المهدي وتجزم بحتمية مجيئه . ومن بين هؤلاء المعاصرين نشير الى ما ذكره أحد العلماء المصريين حينما سئل عما اذا كان المقصود بالمهدي المنتظر شخص سيخرج على الناس في آخر الزمان لينشر بينهم الخير والسلام ، أم هو رمز لاتجاه اصلاحي ، حيث أجاب بقوله أن « الذين يقولون أن ما ورد من الآثار حول المهدي

4 ــ أشار بروكلمان الى هذا الكتاب . أنظر : بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، الجزء الثاني ، ص 388 .

5 ــ يمكن الرجوع الى طائفة كبيرة من الأحاديث السنية حول المهدي في هذا الكتاب ، القاهرة 1312 هـ ، ص 97 وما بعدها .

6 ــ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 194 .

المنتظر يقصد به الرمز لا التشخيص في شخص معين ، ويذهبون هذا المذهب ، هؤلاء لم يستطيعوا انكار هذه الآثار أو ردها ، فأرادوا أن يؤولوها ويحولوها الى معنى مقبول عقلا . ولهذا فنحن لا نناقشهم في صحة هذه الآثار لأنهم مسلمون معنا بوجودها . فقط نناقشهم في الفهم ونسألهم : ما المراد بالرمز ، وما المراد بالاصلاح ؟ الرمز والاصلاح معنيان ، والمعاني لا تقوم بذواتها ، فالاصلاح لا يوجد الا بوجود مصلح . اذن فالمصلح لازم للاصلاح ، وهو ذات تقوم بالاصلاح . وعلى هذا فان الذي يقول أنه رمز للاصلاح فنقول له : هات لنا اصلاحا بدون ذات مصلحة ... ان المهدي الحقيقي الصادق سيكون «مبايعا» لا « مستبيعا » . الناس هم الذين يبايعونه وليس هو الذي يطلب البيعة منهم لنفسه ، لأنه سيكون النموذج المثالي للخير ولتطبيق منهج الاسلام في سلوكه وكل أعماله (7) .

ويبلغ الأمر عند أنصار هذا الاتجاه الى حد أنهم جعلوا المهمة التي ستلقى على عاتق المهدي المنتظر أهم بكثير من تلك التي سيقوم بها المسيح عليه السلام عند نزوله . بمعنى آخر فان المهمة الأخروية التي سيقوم بها عيسى عليه السلام ستكون ثانوية بالنسبة للمهمة التي سيقوم بها المهدي . (8)

وفي أوائل هذا القرن ، توقع بعض أنصار الاعتقاد في المهدي المنتظر أنه سيظهر عام 1355 هـ ـ 1936 م ، وأنه هو الذي سيخضع العالم كله لراية الاسلام وسيتحقق على يديه العصر الذهبي الزاهر (9) .

---

7 ـ حديث الشيخ محمد متولي الشعراوي حول التساؤلات الدينية التي أثارها حادث الاعتداء على البيت الحرام ، جريدة الأهرام ، القاهرة ، عدد 30ـ11ـ1979 ، ص 13 .

8 ـ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 194 .

9 ـ المرجع السابق ، ص 195 .

ومما تجدر الاشارة اليه ، فان أنصار هذا الاتجاه يرفضون رفضا قاطعا العقيدة المهدية بصورتها الشيعية الاثنى عشرية ، لأن المهدي يجب أن يكون اسمه ــ وفقا للروايات السنية ــ محمد بن عبد الله ، بينما والد الامام الخفي وهو الامام الحادي عشر اسمه الحسن (10) ولا يصل الأمر عند حد الرفض ، بل يصل الى حد تفكيرهم لمن قال بعدم اقامة الجمع الا بظهور الامام ، وتكفير مدعي الصفة الالهية للأئمة (11) .

2 ــ فريق آخر من أهل السنة ينكرون الأحاديث التي وردت في صدد المهدي المنتظر . ويعلق أحد المفكرين في العصر الحديث على هذه الأحاديث بقوله « والناظرون فيها من أولى البصائر لا يجدون في صدورهم حرجا من تنزيه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من قولها . فان فيها من الغلو والخبط في التاريخ والاغراق والمبالغة والجهل بأمور الناس والبعد عن سنن الله المعروفة ما يشعر المطالع لأول وهلة أنها أحاديث موضوعة تعمد وضعها رجال من أهل الزيغ أو المشايعين لبعض أهل الدعوة من طلبة الخلافة في بلاد العرب أو المغرب » (12) . ثم يعرض هذا المفكر لأوجه الخطأ في أحاديث المهدي ويحددها في ثلاث نقاط هي : (13)

أ ــ أن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو المؤيد بالوحي ، لا يمكن أن يذكر أن ملك بختنصر المشار اليه في بعض أحاديث المهدي ، دام سبعمائة سنة ، في حين أن التاريخ يوضح أن ملك بختنصر البابلي لم يزد عن ثمان وأربعين سنة .

---

10 ــ المرجع السابق ، ص 196 ، 214 .

11 ــ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 256، 335–336 .

12 ــ محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 480.

13 ــ المرجع السابق ، ص 481 .

ب ــ بعض الأحاديث تذكر دولة القياصرة بالقسطنطينية عند خروج المهدي ، وتصف هذه الدوله بأوصاف كانت موجودة في عصر واضعي هذه الأحاديث ، وقد انقرضت دولة قياصرة القسطنطينية منذ القرن الخامس عشر الميلادي •

جـ ــ ورد في بعض آحاديث المهدي آن سليمان عليه السلام بنى بيت المقدس بالذهب والفضة واليواقيت والأحجار الكريمة • ومثل هذا القول يؤكد أن واضعي مثل هذا الكلام تعمدوا الحط من شأن الاسلام •

كما أن أنصار هذا الفريق المفكر لأحاديث المهدي المنتظر ، قد أنكروا أيضا التقديرات المختلفة التي كانت تهدف الى تحديد وقت ظهور المهدي اعتمادا على حسابات وتأويلات خاصة وتجميعات للحروف والأعداد ، بل عدوا هذه المحاولات مناقضة للقرآن الكريم ولجوهر الاسلام (14) •

ان اتجاه بعض أهل السنة لتأييد الأحاديث التي وردت في شأن المهدي المنتظر لا تشير الى جانب اعتقادي أو ايماني في الاسلام السني فحسب ، بل تشير أيضا الى ما تتضمنه هذه العقيدة من أمل في ظهور مجتمع أو دولة تمثل الصورة المثلى للمجتمع الاسلامي الذي يحكمه الحاكم المثالي « المهدي المنتظر » هذه الصورة التي يرسمها هؤلاء للمجتمع هي أفضل لا محالة من الدولة الاسلامية الواقعية • ولذا فقد صورت الأحاديث دولة المهدي المنتظر بأنها مجتمع مثالي « تنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط » ، و « تؤتي أكلها ولا تدخر منهم شيئا ، و « المال يومئذ كدوس » ، و « فيملؤها قسطا كما ملؤوها

---

14 ــ أنظر في هذا المعنى على سبيل المثال : شرح القسطلاني على صحيح البخاري ، بولاق 1285 هـ ، الجزء الرابع ، باب الاجارات ، ص 150 ، الجزء السابع ، باب التفسير ، ص 232 ، 458 ، الجزء التاسع ، باب الرقاق ، ص 323 .

جورا » (15) ، و « يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » (16) ، و « يجيء اليه رجل فيقول : يا مهدي اعطني اعطني ••• فيحثى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله » (17) ، و « حتى أن العنقود ليكون سكن أهل الدار » ، و « يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر » (18) و « يقسم المال ، ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ويلقى الاسلام بجرانه في الأرض » (19) و « يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدع السماء من قطرها شيئا الا صبته مدرارا ، لا تدع الأرض من نباتها شيئا الا أخرجته ، حتى يتمنى الأحياء العيش » (20) •

ان هذه العبارات التي وردت في أحاديث المهدي المنتظر ، والتي يعتقد فيها أهل السنة ، تشير الى صورة المجتمع الاسلامي المثالي « مجتمع الوفرة » (21) الذي يفترض أن تنتهي فيه أوضاع العوز والفاقة ، وتصبح الخيرات فيه كافية لتلبية جميع الحاجات • وهذا الاعتقاد من جانب أهل السنة يعكس ايمانهم بابتعاد أنظمة الحكم القائمة عن هذه الصورة المثالية ، مجرد ايمان دون سعي لمحاولة تغيير هذه الصورة الواقعية انتظارا

---

15 ـ أنظر : ابن ماجه ، السنن ، مرجع سابق ، ص 1367 •

16 ـ أبو داود ، السنن ، رجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 422–424 •

17 ـ أنظر : الترمذي ، الجامع الصحيح ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 206 •

18 ـ أنظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 386 ، الجزء الرابع ، ص 33 •

16 ـ أبو داود ، السنن ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 422–424 •

20 ـ محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، مرجع سابق ، ص 477•

21 ـ استخدم بعض المفكرين السياسيين مصطلح « مجتمع الوفرة » للتعبير به عن « العصر الذهبي المستحيل » الذي يتخيله الفلاسفة المثاليون • أنظر : موريس دوفرجيه ، مدخل الى علم السياسة ، ترجمة د • جمال الأتاسي ، د • سامي الدروبي ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ، القسم الثالث « من التصارع الى التكامل » •

للمهدي المنتظر الذي سيتولى بنفسه مهمة تغيير أنظمة الحكم الجائرة في الدولة الاسلامية وتحقيق الصورة المثالية للمدينة الفاضلة •

واذا ما درسنا الدولة الاسلامية في لونها السني في الأعصر الأموية والعباسية لأمكن تحديد ملامح عقيدة المهدي المنتظر ومضامينها السياسية والاجتماعية في عدة نقاط لعل أهمها :

1 ــ ان فقهاء أهل السنة الذين كانت لهم مكانة مرموقة في البلاط وعند الحكومة ، والذين كانت تناط بهم ــ اذا ما لزم الأمر ــ عملية تنظيم الحكومة أو قانونها على أساس الفكرة الدينية ، كانوا يدعون الى عدم شق عصا الطاعة أو عصا الجماعة ايثارا للمصلحة العامة • وحتى بعض الأتقياء الذين كانت تظهر لهم الحياة العامة وحالاتها الواقعة في وضع يتناقض مع مقتضيات المثل العليا التي كانوا يصبون اليها بسبب ما كان يحدث من جانب الحكام من مخالفات مستمرة للدين وللعدالة الاجتماعية ، فكانوا هم أيضا لا يحضون على الثورة • وكان مؤدى هذه الدعوات هو احتمال المظلومين للمظالم القائمه ، والتذرع بالصبر في مواجهة آثام الأشرار • ومن ثم ، فقد كانت فكرة «المهدي المنتظر» الذي سيرسي دعائم الحق والعدل ، هي الفكرة الملائمة للتوفيق بين الواقع السيء المشاهد وبين الصورة المثلى للمجتمع التي كان ينشدها أولئك المظلومون والمحرومون • أما عند فقهاء أهل السنة المرتبطين بالنظام الحاكم ، فان ترقب المهدي المنتظر عندهم لم يكن سوى مجرد حلية أسطورية ليس لها الا صلة ثانوية بجوهر النظرية السنية للكون ، (22) ولكن من الناحية السياسية

22 ــ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 194- 196 •

فان هذا الترقب كان يعني قبول الأمر الواقع وعدم محاولة تغييره •

2 ـ وفريق من الكتاب والشعراء الذين كانوا أكثر ارتباطا بأنظمة الحكم الأموية والعباسية ، والذين كانوا أكثر تقيدا بالواقع ، اتجهوا الى الاعتقاد بأن ما يعقدونه من آمال حول المهدي المنتظر سيتحقق على أيدي الحكام والأمراء الذين كانوا يعولون عليهم في اقرار نواميس العدالة (23) وقد تصور بعض هؤلاء ـ لا سيما بعد سقوط الدولة الأموية سنة 132 هـ ـ أن بعض خلفاء بني العباس قد يحققون لهم هذه الأماني ، غير أنهم مالبثوا أن اكتشفوا الأمل الكاذب ، فتحولت فكرة المهدي ـ تحت تأثير هذه الصدمة ـ الى يوتوبيا Utopie مهدية أصبحت قابلة للامتزاج بالخرافات الساذجة والروايات الأخروية الملحمية المتعلقة بالمهدي المنتظر الذي سيأتي يوما لاعادة السنة الصحيحة ، ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا (24) •

3 ـ لم تجد الأوساط السنية غضاضة في اطلاق اسم المهدي على الخلفاء الأقدمين كعلي بن أبي طالب ، بل لقد نسب للرسول عليه الصلاة والسلام قوله في علي بن أبي طالب « وأن تؤمروا عليا ••• تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الصراط المستقيم » (25) • ولعلنا قد أشرنا من قبل الى أن الشعراء قد أطلقوا هذا اللقب في العصر الأموي على

---

23 ـ أنظر ما سبق أن ذكرناه من شعر لابن التعاويذي في مدح الخليفة العباسي الناصر وتصويره له بأنه الامام المهدي الذي لا ينتظر مهدي سواه •

24 ـ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 194 ـ 195 •

25 ـ ابن الاثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد ، كتاب الشعب ، القاهرة ، الجزء الرابع ، ص 31 •

بعض الأمراء الأمويين (26) • كما أن الخليفة عمر بن عبد العزيز وصف بأنه المهدي الحقيقي (27) • وعلاوة على لقب المهدي الذي تلقب به الخلفاء العباسيون ، فقد تلقبوا أيضا بألقاب ملحمية مشابهة مثل المنصور والرشيد والهادي والمنتصر والقائم (28) والأمويون في الأندلس استخدموا هم أيضا لقب المهدي ، فنجد مثلا أن محمد الثاني (المتوفي سنة 1010 هـ) حينما بويع للخلافة تلقب بلقب المهدي (29) • ويبدو أن الحكام الأمويين والعباسيين التمسوا حيازة هالة من هالات القداسة Charisma ، فاتخذوا هذه الألقاب ذات المظهر الورع لا سيما لقب المهدي (30) • بل لا يجد أهل السنة بأسا من اطلاق اسم المهدي على من يدخل الاسلام من أهل الديانات الأخرى • ويطلق أهل مصر عادة على هؤلاء الأشخاص « محمد المهدي » كما يطلق عليهم في تركيا « المهدي » • ومن الطريف أن مشيخة الأزهر في مصر تولاها شيخان كانا غير مسلمين في الأصل وهما الشيخ محمد المهدي الحنفي (تولى المشيخة من 1812 حتى 1815 م) والشيخ محمد العباسي المهدي (تولى المشيخة من 1870 حتى 1890 م) (31) •

---

26 ـ أنظر ماسبق أن ذكرناه من وصف الفرزدق للنبي عليه الصلاة والسلام بالمهدي ومدحه لسليمان بن عبد الملك بنفس اللقب •

27 ـ ابن سعد ، الطبقات الكبيرة ، تصحيح ادوارد سخو ، منشورات مؤسسة النصر ، طهران ، مطبعة بريل ، لندن 1322 هـ ، الجزء الخامس ، ص 245 •

28 ـ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، الجزء التاسع ، ص 399 ، ابن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 183 •

29 ـ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 305-306 •

30 ـ المرجع السابق ، ص 175-272 ؛ Encyclopaedia Britanica, op. cit., Art : Mahdi, p. 632.

31 ـ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 342 •

4 ـ لقد استفادت الثورة العباسية في سنة 132 هـ ـ 750 م من النبؤات والملاحم التي كانت قد سادت في تلك الآونة، ومن بينها أن المهدي المنتظر سوف يظهر في خراسان في الشرق حاملا « راية سوداء » (32) • ولعل العباسيين لم يكتفوا فحسب بالاستفادة من النبؤات حول المهدي المنتظر ، بل استفادوا أيضا من تلك الحركات الغالية التي ذهبت الى حد تأليه بعض خلفائهم الأول كأبي جعفر المنصور مثل فرقة «الراوندية» ، والتي ذهبت أيضا الى حد ادعاء النبوة لبعض أشياع بني العباس مثل نبوة عمار الملقب بخداش (33) •

5 ـ وقد استغلت فكرة المهدي المنتظر في العصر العباسي الأول في المناورات السياسية ومن أمثلة ذلك ما حدث حينما أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يأخذ البيعة لابنه محمد المهدي دون ابنه جعفر ، حيث أمر المنصور باحضار الناس والخطباء والشعراء الذين أكثروا في وصف المهدي ابن الخليفة ، وقد قال أحد الشعراء ، وهو مطيع بن اياس في هذا المؤتمر للمنصور « يا أمير المؤمنين ، حدثنا فلان عن فلان أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : المهدي منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا ، يملأها عدلا كما ملئت جورا ، وهذا العباس بن محمد ، أخوك ، يشهد على ذلك » ، ثم أقبل على العباس وقال له : أنشدك الله ، هل سمعت هذا ، فقال العباس « نعم » مخافة المنصور ، فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدي • وبعد انقضاء المجلس قال العباس بن محمد : أرأيتم هذا الزنديق ـ يعني مطيعا ـ

32 ـ د • محمود اسماعيل ، الحركات السرية في الاسلام ، القاهرة 1973 • ص 107 ـ 108 ـ وانظر أيضا Encyclopaedia Britanica, op. cit., Art : Mahdi, p. 631.

33 ـ ابن حزم ، الفصل بين الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 186 ، 187 •

اذ كذب على الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ، حتى استشهد بي على كذبه فشهدت له خوفا ، وشهد كل من حضر علي بأني كاذب • ولما بلغ خبر هذا الحادث الى جعفر بن المنصور غاظه قول مطيع ، وشقت عليه البيعة لأخيه فقال : ان كان أخي محمد هو المهدي ، فهذا ــ مشيرا الى أحد أعضاء جسده ــ القائم من آل محمد (34) • وتدلنا هذه الواقعة على مدى محاولة الحكام العباسيين الاستفادة من العقائد السائدة رغم عدم ايمانهم بها •

6 ــ ان عقيدة المهدي كانت تظهر أحيانا عقب الهزائم السياسية أو العسكرية للمسلمين ، لتكون مستودعا للآمال ولمحاولة التكييف اجتماعيا مع هذه الهزائم • ومن أمثلة ذلك :

أ ــ أسطورة السفياني المنتظر التي ظهرت في الأوساط الشعبية السورية ، لا سيما القبائل اليمانية الكلبية ، حيث استمرت هذه الأسطورة تعبر عن نفسها من آن لآخر حتى نهاية القرن الثالث الهجري • وقد كانت هذه الأسطورة من تدبير الأمويين حتى لا ينقطع الأمل في رجوع دولتهم التي زالت على أيدي العباسيين عام 132 هـ • وفي هذا المعنى يقول محمد كرد علي « وهكذا لم يخل عهد السفاح والمنصور والهادي والرشيد والأمين والمأمون من فتن مشؤومة بالشام ••• والدعوة للسفياني الذي وعد بارجاع بني أمية تهب وتنام » (35) ولعل السبب في ارتباط هذه الحركة بالشام هو شهود هذه البلاد لأمجاد الأمويين ، ولذا شعر أهلها بالحسرة حين سقطت الدولة الأموية • ومن ثم ،

---

34 ــ أنظر : الأصبهاني ، الأغاني ، مرجع سابق ، الجزء الثاني عشر ، ص 85 •

35 ــ أنظر : محمد كردعلي ، خطط الشام ، دمشق 1925 ، الجزء الأول ، ص 193 وما بعدها •

اختلطت العوامل السياسية بالأساطير الدينية والتنبؤات في عدد غير قليل من انتفاضات القبائل الشامية (36) وقد انعكس الصراع بين العباسيين والأمويين على الأحاديث التي نسبت للرسول ، عليه الصلاة والسلام . فالفتنة التي تظهر من بلاد الترك تقوم بها جيوش ألويتها سود (السواد شعار العباسيين) فيطرد السفياني وأعوانه الكلبيين (37). وما روي عن حذيفة من أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب « فبينما هـم كـذلك اذ خـرج عليهـم السفيـاني من الوادي اليابس ... » (38) . ويرى البعض أن هذه الأحاديث عن السفياني وصراع الأمويين والعباسيين من وضع الشيعة المعادين لكلا الفريقين ، وأن «الخصيبي» وهو شيعي يخلط بين الدجال وبين السفياني الذي يسميه « عثمان بن عنبسة العفريت » (39) .

ب ــ ومن أمثلة العقائد المهدوية التي تظهـر عقب الهزائم السياسية التي تحيق بالمسلمين ، ما حدث في معظم أرجاء أسبانيا بعد معركة «لاس ناڤاس» في تولوز سنة 1212 م، حيث خفت صوت الاسلام ، حينئـذ روج المسلمـون

---

36 ــ د . فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، بيروت 1970 ، ص 132 . وفكرة السفياني المنتظر تعود الى بداية العصر العباسي حيث ثار الأمويون في الشام والجزيرة والعراق والحجاز في وجه العباسيين بسبب المعاملة السيئة التي كانوا يعاملون بها . وقد عثر الثوار في بلاد الشام على رجل من بقايا الأمويين من سلالة معاوية بن أبي سفيان ، فالتفوا حوله ولقبوه بالسفياني ، وانتهى صراع هذا السفياني وأنصاره مع عبد الله بن علي العباسي بهزيمة السفياني وفراره الى تدمر . أنظر : د . محمد جمال الدين سرور ، الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، الطبعة الرابعة ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1973 ، ص 178–179 .

37 ــ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ، مرجع سابق . ص 127 – 128 .

38 ــ أنظر : محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، مرجع سابق : ص 475 – 476 .

39 ــ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 129 .

الأسبان أحاديث منسوبة للنبي ، عليه الصلاة والسلام ، تتنبأ باعادة قهر الأسبان بواسطة المهدي (40) .

7 ـ ولأن فقه أهل السنة ، الذي ساد بصورة عامة على الدولة الاسلامية لا سيما في الأعصر الأموية والعباسية ، كان يرفض شق عصا الطاعة ، وكان ينظر الى أي ثورة أو انتفاضة على أنها «فتنة» ، فقد كان من النادر أن تظهر حركات سياسية أو اجتماعية مناهضة لنظام الحكم يقودها سنيون في اطار عقيدة المهدي المنتظر . ولعل من أهم الحركات المهدوية القليلة النادرة في نطاق الفكر السني :

أ ـ حركة المهدي بن تومرت في المغرب العربي في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي الذي أوقع في روع الموحدين أنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا . وقد نجح هذا المهدي في تحريك المشاعر القومية. وقد تمكن من الاستيلاء على بعض المناطق في دولة المرابطين قبل أن توافيه المنية عام 1130 م (41) .

ب ـ حركة مهدي تهامة الذي ظهر في اليمن حوالي 1159 م ، وزعم أنه المهدي المنتظر ، وتبعه بعض الأعراب ، وتمكن من ازالة الدولة الحمدانية في صنعاء والدولة النجاحية في زبيد . وقد احتفظ حفيده «عبد النبي» الذي خلفه سنة 1162 م بمركزه أحد عشر عاما حتى قضى توران شاه من قبل صلاح الدين الأيوبي على هذه الدولة سنة 1173 هـ (42) .

---

40 - Encyclopaedia Britanica, op. cit., Art : Mahdi, p. 631.

41 ـ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 324 ـ 326 .

42 ـ المرجع السابق ، ص 355 . وانظر أيضا : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الجزء السادس ، ص 69 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، الجزء الحادي عشر ، ص 148ـ149 ، المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق 1270 هـ ، الجزء الثاني ، ص 173 .

جـ ـ حركة المهدي الذي ظهر في مصر أثناء حملة نابليون بونابرت عليها في أواخر سنة 1213 هـ • وحول هذه الحركة كتب الجبرتي يقول « تجمع الكثير من الفرنسيين وذهبوا الى جهة دمنهور ، وفعلوا بها ما فعلوا في بني عدي من القتل والنهب لكونهم عصوا عليهم بسبب أنه ورد عليهم رجل مغربي يدعي المهدوية ويدعو الناس ويحرضهم على الجهاد ، وصحبته نحو الثمانين نفرا ، فكان يكاتب أهل البلاد ويدعوهم الى الجهاد ، فاجتمع عليه أهل البحيرة وغيرهم ، وحضروا الى دمنهور وقاتلوا من بها من الفرنساوية ، واستمر أياما كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحي وتفترق ، والمغربي المذكور تارة يغرب وتارة يشرق » (43) ويبدو أنه قد تم القضاء على حركة هذا المهدي بعد حوالي شهرين (44) •

د ـ وفي الأزمنة الحديثة نسبيا ، اشتد تعلق المسلمين في القوقاز وسمرقند وغيرها من المناطق الاسلامية النائية . أو لدى الجماعات العرقية ، في الاعتقاد برجعة بعض أبطالهم وزعمائهم بعد موتهم فمسلموا القوقاز يؤمنون برجعة بطل استقلالهم « ايليا منصور » الذي ظهر قبل زعيمهم « شامل » سنة 1791 ، والذي لا بد أن يعود بعد قرن من الزمان لطرد الروس • ويعتقد أهل سمرقند في رجعة أوليائهم كشاه زند وقاسم بن عباس • والأكراد يؤمنون ، منذ القرن الثامن الهجري على الأقل ، برجعة زعيمهم المصلوب « تاج العارفين حسن بن عدي» (45) •

43 ـ عبد الرحمن الجبرتي ، تاريخ الجبرتي ـ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، المطبعة العامرية الشرفية ، مصر المحمية سنة 1322 هـ ، الجزء الثالث ، ص 60 •

44 ـ يتضح ذلك من الرسالة التي أوردها الجبرتي المرسلة من الجنود الفرنسيين الى أهل الديوان المكرمين العظام بالقاهرة ، وقد جاء فيها : بعد ذلك سرنا الى أقليم البحيرة لأجل ما نرد راحة الرعايا المساكين ، ونقاصص أعداءنا المحاربين ، وقد وصلنا بالسلامة الى الرحمانية وعفونا عفوا عموميا عن كامل أهل البحيرة حتى صار أهل الأقليم في راحة تامة ونعمة عامة ، المرجع السابق ، ص 79-80 •

45 ـ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 193 .

هـ ـ حركة محمد بن عبد الله في مطلع القرن الخامس عشر الهجري الذي زعم بأنه « المهدي المنتظر » واحتل وجماعة كبيرة من أتباعه المسجد الحرام بمكة المكرمة ـ وقد قاومت القوات المسلحة السعودية هذه الحركة عدة أيام حتى تم القضاء عليها • ومن البيانات التي أذاعها هذا المهدي المزعوم بمكبرات الصوت من المسجد الحرام ، يبدو أن الحركة كانت تهدف الى تحقيق غايات سياسية واجتماعية (46) •

وختاما لهذه النقطة التي تعرضنا فيها لعقيدة المهدي المنتظر عند أهل السنة ، فاننا نميل الى القول بأن عقيدة المهدي المنتظر أو الانسان الكامل الذي يعمل على نصر المظلومين ، ليس في نظر « فقه النظام الحاكم » الا نسيجا من الترهات ، أما أولئك المحرومون ـ قوميا أو اجتماعيا أو سياسيا أو ماديا ـ فانهم يستمسكون بعروتها الوثقى من أعماق رجائهم لا يقهرهم شيء •

* * *

46 ـ أخبرني الدكتور حامد اسماعيل عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والقانون جامعة صنعاء ، أنه التقى هو وبعض القضاة وبعض علماء الدين اليمنيين في ربيع عام 1979 في صنعاء مع أحد مدعي المهدوية اسمه « محمد نصرالله » زعم أنه فلسطيني من المجدل ، كما زعم أنه بحساب الجمل يتضح أن المجموع العددي لحروف اسمه يفيد أنه « المهدي المنتظر » . وقد جرت مناظرة مع هذا المهدي أوضحت أنه يجهل حتى الأمور البسيطة في الفقه الاسلامي ، ويعتقد الدكتور حامد أن هذا الشخص ربما كان منتميا الى أحد تنظيمات الماسونية التي تسعى الى هدم الأديان السماوية . وقد طلبت منه السلطات في الجمهورية العربية اليمنية مغادرة البلاد ، وأفادني الأخ الأستاذ سي يوسف محمد أنه يعد أطروحة لدبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ بجامعة الجزائر حول قائد لحركة ثورية ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر في الفترة من 1850–1854 وقد اشتهر هذا القائد بين أتباعه باسم « مولى الساعة » أي صاحب الساعة ، وقد ادعى هذا القائد أن اسمه « محمد ابن عبد الله » بينما اسمه الحقيقي هو محمد بن عبد الملك الأمجد ، كما زعم أنه أتى من الغرب على بغلة ـ ولذا اشتهر أيضا بلقب أبي بغلة ـ وهو ما ينسجم مع الأحاديث والدوريات حول المهدي المنتظر الذي يأتي من الغرب ، وقد قضى الفرنسيون على هذه الحركة في ديسمبر سنة 1854 .

المبحث الخامس

عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة

من المعلوم أن الامامة ركن من أركان الدين عند الشيعة . وكما يقول الشهرستاني « ليست الامامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، وينتصب الامام بنصبهم ، بل هي قضية أصولية » (1) • وقد كان هذا الاعتقاد من أهم أسباب عدم اعترافهم بشرعية الحكومات الاسلامية التي لا تقوم على أساس هذا الاعتقاد على مر العصور ، لا سيما في الأعصر الأموية والعباسية ، ولقد لقي نشاطهم السياسي المعادي لهذه الحكومات ، مقاومة عنيفة ؛ مما أدى الى استشهاد العلويين واحدا بعد الآخر • وكانت هذه المحن التي توالت على هؤلاء وأنصارهم سببا في بلورة عقائدهم الدينية المتميزة (2) التي انطوت على مشاعر الكراهية لأعدائهم من ناحية ، واللجوء الى التقية في سلوكهم وتصرفاتهم من ناحية أخرى ؛ والاعتقاد في المهدوية من ناحية ثالثة • وقد اختلطت هذه الجوانب الثلاث لدى الشيعة بحيث أن الحديث عن جانب منها يثير تلقائيا الحديث عن الجانبين الآخرين • ومن ثم ، لا يمكن فهم عقيدتهم المهدوية

---

1 ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 146 .

2 ـ أنظر : دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الرابع عشر ، مادة الشيعة ، ص 59–60 ، ويمكن الرجوع الى تفاصيل حول المحن التي حلت بالعلويين على أيدي العباسيين في : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، الجزء الخامس ، ص 513 وما بعدها .

فهما كاملا الا بربطها بالجانبين الآخرين وهما الكراهية الكامنة والتقية الواجبة :

أ ــ لقد نقم الشيعة على الأمويين ، ونظروا اليهم باعتبارهم مغتصبين للسلطة ــ ولذا ، فقد تحالفوا مع أبناء عمومتهم من العباسيين تحت شعار « الرضا من آل محمد » (3) ضد الأمويين ، وتم اعلان نهاية الحكم الأموي عام 132 هـ .

وما أن ثبت العباسيون مركزهم ، وقبضوا على زمام الخلافة ، حتى بدأوا يتنكرون للعلويين وينظرون اليهم نظرة شك باعتبارهم منافسين خطرين . أما العلويون فقد نظروا الى العباسيين على أنهم مغتصبون للسلطة من أصحابها الشرعيين (4) وقد عبر عن هذه النقمة محمد بن عبد الله بن حسن حينما قال « لقد كنا نقمنا على بني أمية ما نقمنا ، فما بنو العباس الا أقل خوفا لله منهم ، وأن الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم » (5) كما أفرد السيد الحميري ــ وكان متشيعا لمحمد بن الحنفية ــ قصائده للتعبير عن خيبة الآمال في العباسيين (6) ومما

---

3 ــ مجهول ، أخبار العباس وولده ، تحقيق د . عبد العزيز الدوري ، و د . عبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت 1971 ، ص 204 ، و د . علي حسني الخربوطلي ، المهدي العباسي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ص 128 .

4 ــ ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة 1317 هـ ، ص 146 ، وقد تخطت نقمة بعض الشيعة الى اعتبارهم الخلفاء الراشدين قبل علي ابن أبي طالب مغتصبين للخلافة ، ويذكر البعض في هذا الصدد أن محمد بن جعفر أو محمد بن علي بن النعمان المعروف بشيطان الطاق عند أعدائه قد أنكر بعض آيات القرآن التي وردت فيها اشارة ضمنية الى أحد الخلفاء الراشدين مثل قوله تعالى « ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » ، أنظر : ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 181 .

5 ــ أنظر : الأصبهاني : الأغاني ، مرجع سابق ، الجزء العاشر ، ص 106 .

6 ــ دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الرابع عشر ، ص 62 .

قاله دعبل الخزاعي ـ وكان متشيعا لعلي الرضا ـ في هذا الصدد • (7)

انى يكون وليس ذاك بـــكائن يرث الخلافة فاسق عن فاسق

وقال دعبل أيضا في موت الخليفة العباسي المعتصم : (8)

خليفة مات لم يحزن لــه أحد وآخــر قــام لــم يفرح به أحد

وفي قصيدة له أيضا يصف قبر الرشيد وقبر علي الرضا بقوله:

قبران في طوس خير الناس كلهم وقبــر شرهــم هذا من العبــر
ماينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي يقرب الرجس من ضرر

ان هذه النقمة الكامنة تعكس صراعا خفيا بين النظام الحاكم وبين الشيعة ، وهو صراع لا يعكس خلافات عقائدية بقــدر ما يعكس خلافات ومنازعات سياسية • والواقع ، أن القراءة غير المسطحة لتاريخ الدولة الاسلامية منذ العصر الأموي ، تؤكد أنه قلما حيل بين المذاهب الاعتقادية وحرية نموها ، وأن الأحكام والعقوبات على ذوي العقائد المتطرفة الضالة لم تطبق الا في الحالات التي بدت على جانب كبير من الخطورة ، وهي حالات كانت جد قليلة • أما الآراء والمذاهب المناوئة لنظام الحكم ـ كمــا هــو حال الشيعة ـ فقــد كانت تؤخــذ بكل الشــدة والصرامة (9) •

ب ـ أما التقية ، فقد اضطر الشيعة الى اللجوء اليها حينما لم يعد في مقدورهم في مرحلة معينة أن يتابعوا نضالهم العلني ضد الحكومات القــائمة ، بعد أن حاقت بهــم الهزائم العديدة المريرة من جراء الثورات التي قاموا بها • ولم يلجأ الشيعة الى التقية فحسب ، بل وأسسوها على أسس

---

7 ـ المرجع السابق ، الجزء التاسع ، مادة دعبل ، ص 242ـ243 ، الأصبهاني ، الأغاني ، مرجع سابق ، الجزء الثامن عشر ، ص 57ـ58 •

8 ـ المرجع السابق ، ص 58 •

9 ـ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 163 •

من المنطق والكلام ، فرووا عن الباقر أنه قال « جعلت التقية ليحقن بها الدم » ، وقوله أيضا « التقية ديني ودين آبائي » • كما رووا عن جعفر الصادق أقوالا مماثلة في التقية وتحبيذها (10) • وقد جعل الشيعة من التقية مبدأ من مبادئهم الأساسية ، وعدوها واجبا ضروريا يجب على كل شيعي أن يرعاه من أجل الصالح المشترك لهم جميعا • ولذا فقد كانت التقية أمرا لا مفر منه ، اذ صارت هي الطريق الوحيد للجمع بين حفظ العقيدة وحفظ الحياة (11) • ويمكن القول بأن انتشار مبدأ التقية واستقراره يعد دليلا على مدى اضطهاد الحريات ومدى العجز عن المجاهرة بالمعتقدات الحقيقية لمن يستخدم هذا المبدأ ، وهذا العجز يعكس صورة من صور المقاومة السلبية والسخط الكامن الذي يكنه المحكوم للحاكم أو الذي يكنه المرء لخصمه القوي • (12)

جـ ـ وفي ظل الحقد الكامن والتقية الضرورية ، قنع الشيعة بالعيش وهم يأملون أن الله سبحانه سيحدث في يوم من الأيام تغييرا عادلا في الشؤون السياسية • وهذه الآمال هي التي خرجت منها عقيدة المهدي المنتظر • ومن الطبيعي أن يكون الاسلام بصورته الشيعية بيئة ملائمة لنمو بذرة

---

10 ـ د . فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، مرجع سابق ، ص 227ـ228 ، 233 ـ 237 .

11 ـ محمد حسن الأعظمي ، عبقرية الفاطميين ـ أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت 1970 ، ص 18،65 .

12 ـ ننوه هنا الى أن مبدأ التقية لم يقتصر فقط على الشيعة ، بل عرفته فرق ومذاهب اسلامية أخرى . فقد عرفته فرق الخوارج والمرجئة والقائمين بالدعوة السرية العباسية والمعتزلة ، كما أن لأهل السنة أيضا آراء في التقية لا سيما في صدد تفسير قوله تعالى « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » (قرآن كريم ، سورة النحل ، من الآية 106) . أنظر في صدد مبدأ التقية عند الفرق المختلفة ، د . محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفاء ـ دراسة في الفكر الاسلامي ، رسالة دكتوراه ، تحت النشر ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة 1976 ، ص 119 وما بعدها .

الأماني المهدية للتعبير عن الاحتجاج والاستنكار للخلفاء الذين خالفوا وناهضوا مبدأ الحق الالهي ، وما ترتب عليه من قهر وعنت واغتصاب كانت الأسرة العلوية عرضة له رغم أنها وحدها الجديرة بالخلافة من وجهة نظرها ومن وجهة نظر أشياعها •

ان الاعتقاد في رجعة الامام بعد موته أو اختفائه أو غيبته ، يشكل عنصرا هاما في نظرية الامامة عند غالبية فرق الشيعة • ولا تختلف هذه الفرق الا في تحديد شخص الامام الذي ستقدر له العودة • فرجعة الامام الخفي وعودته الى العالم الظاهر المحسوس ، تعني تحقق الأماني المهدوية التي تتلخص فى اعادة سنن النبي التي درست ، وتعني رد حق العلويين المهضوم ، وتعني أن الامام العائد أو المهدي المنتظر هو وحده القادر على أن يملأ الدنيا حقا وعدلا •

ورغم أن بعض الشيعة في القرن الثاني الهجري قد اعترفوا ـ الى جانب أهل السنة وبعض المعتزلة ـ بحديث « لا مهدي الا عيسى » ، الا أن هذا الاعتراف كان اعترافا بالحديث في مضمونه لا في صورته التي يشتم فيها روح الصراع السياسي والمناظرة والجدل ضد العباسيين (13) ومما لا شك فيه أن هذا الصراع قد أضاع ملامح الاعتراف بمهدوية عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان ، وحل محلها اعتقادات مهدوية في الأئمة العلويين •

ولعل أول اشارة الى الرجعة في صورة المهدي المنتظر كانت بصدد علي بن أبي طالب ، وتستخلص من أقوال تنسب الى عبد الله بن سبأ مؤسس فرقة «السبأية» التي تعتبر أول تنظيم سري في الاسلام • فقد زعم ابن سبأ أن عليا لم يقتل وأنه حي

---

13 ـ أنظر : لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 125 •

لم يمت وأنه في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه ، وأنه ينزل الى الأرض بعد حين (14) كما زعم أن الذي قتله عبد الرحمن بن ملجم كان شيطانا تصور للناس بصورة علي ، وأن عليا صعد الى السماء كما صعد عيسى بن مريم ، وأنه سينزل الى الدنيا وينتقم من أعدائه • وزعم بعض السبأيه أن المهدي المنتظر انما هو علي دون غيره (15) ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا (16) ويعتبر اعتقاد ابن سبأ باختفاء علي وعودته في المستقبل أقدم مظهر للقول برجعته وعبادته المغالى فيها ، كما يعتبره البعض أول انقسام يحدث في صفوف الشيعة (17) وبهذا تعتبر السبأية أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة وتناسخ الجزء الالهي في الأئمة (18) ويرى البعض أن فرقة «الناووسية» زعمت أن « عليا باق وستنشق الأرض عنه يوم القيامة فيملأ الأرض عدلا • (19)

وأغلب فرق الشيعة تحصر المهدي المنتظر في نسل علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام • أي أن المهدي سيكون من السلالة الشرعية لأهل البيت ـ وحتى عند بعض غلاة الشيعة تمثل فاطمة « بحمرة المغرب الذي يشرق فيه الهلال » ، وتصورها الملاحم الشيعية الغالية ، وقد تشعث شعرها وتوجهت بوليدها الذي قتل ولم يؤخذ بثأره نحو

---

14 ـ المقريزي ، الخطط ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 296 .

15 ـ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 45،223-224 . وانظر أيضا حول الاعتقاد بألوهية علي : نفس المرجع ، ص 214 ، 223 . 241 ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، الجزء الاول ، ص 174 ـ 175 .

16 ـ ابن حزم ، الفصل في الملل ، والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 180 .

17 ـ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 191-192 ، الجاحظ ، كتاب الحيوان ، الجزء الخامس ، ص 134 .

18 ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 174 .

19 ـ المرجع السابق ، ص 167 .

الشمس علامة صبها اللعنة ، وكمقدمة للانتقام والبعث الاجتماعي الذي سيقوم به «القائم» قبل يوم القيامة • (20)

وبالرغم من أن غالبية فرق الشيعة التي تعتقد « المهدوية » ترى أن المهدي المنتظر من نسل النبي ، أي من أبناء علي بن أبي طالب وفاطمة ، الا أنه قد ظهرت اتجاهات مبكرة بين بعض هذه الفرق ترى أن المهدي المنتظر من زوجة أخرى لعلي غير فاطمة • ولعل أشهر حركة مهدوية ظهرت على هذا الأساس هي تلك التي ذهبت الى آن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب هو المهدي المنتظر ، حيث أعلن المختار ـ بعد وفاة ابن الحنفية ـ أنه لا زال حيا في مقبرته على جبل رضوى في حالة «غيبة» ، وسوف يظهر فيما بعد ليقهر أعداءه (21) •

ان فكرة الغيبة ـ التي ترتبط بفكرة الرجعة ـ تعني أن الموت بالنسبة للامام يبطل في تصور الأتباع ، وأن الامام قد « غاب » وسيرجع في صورة المهدي المنتظر ـ وفي بعض الحالات ـ عند الشيعة بطبيعة الحال ـ كان الايمان بالغيبة يزداد قوة بتأثير عنصر الاستشهاد • وفي حالات أخرى قليلة ـ كما هي حالة محمد بن الحنفية والحاكم بأمر الله مثلا ـ كان الاعتقاد في الغيبة والرجعة غير مرتبط باستشهاد الامام (22) •

والأدب الشيعي مفعم بالاعتقاد في المهدي المنتظر ، ومن أمثلة ذلك قول دعبل الخزاعي : (23)

---

20 ـ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 130 ـ 131 •

21 ـ أنظر :

Encyclopaedica Britanica, op. cit., Art : Mahdi, p. 631.

22 ـ دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الرابع عشر ، ص 60-61•

23 ـ المرجع السابق ، ص 62 •

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد لقطع قلبي أثرهم حسراتي
خروج امام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

وتدعم الفرق الشيعية عقيدتها حول الغيبة والرجعة والمهدي المنتظر والقائم بأدلة نقلية وأحاديث مختلفة • فقد نسبت الى علي بن أبي طالب «خطبا» وأقوالا ملحمية حول « الوصية » و « الجفر » و « القائم » تنطوي على مضامين مهدوية أو متعلقة بالمهدي المنتظر • ومن بين هذه الخطب الملحمية خطبة مسجوعة من مائتين وثمانية وستين اسما ، يتحدث فيها علي عن نفسه بصيغة المتكلم ، أشار الى نفسه فيها بأسماء ملحمية مثل « أنا مهدي الأوان » و « عيسى الزمان » و «وجه الله » (24) ونقل الشيعة عن الرسول عليه الصلاة والسلام قوله في علي ابن أبي طالب أنه «هاديا مهديا» ، وقد أطلق لقب «المهدي» على الحسين بن علي ، حيث قال سليمان بن صرد بعد استشهاد الحسين « اللهم ارحم حسينا الشهيد بن الشهيد ، المهدي بن المهدي ، الصديق بن الصديق » • وهذا اللقب يعترف به أهل السنة أيضا ولكن ليس بمعنى المهدي المنتظر (25) •

وعن موسى الكاظم بن جعفر الصادق نقل الشيعة الاثنى عشرية قوله « كل من حكى عني أنه عني بي خلال مرضي ، أو غسلني وحنطني ودفنني ، أو أنه نزل في قبري ومس رفاتي ، فقل عنه أنه كذاب واذا استعلم أحد عني بعد اختفائي ، فليجب أنه يعيش والحمد لله • ولعنة الله على من سئل عني فأجاب أنه قد

---

24 ـ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 132ـ 137 •

25 ـ أنظر : ابن الاثير ، أسد الغابة ، مرجع سابق : الجزء الرابع ، ص 31 • ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 69 ؛ الطبري ؛ تاريخ الأمم والملوك ، طبعة دي غوبة ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 546 •

مات » (26) • وينسب البعض الى جعفر الصادق أقوالا بشر فيها أتباعه ـ الذين كانوا يلحون عليه في تقلد السلطة الدينية والدنيوية معا ـ بتحقق أمانيهم على يدي « السابع » أو القائم الامام السابع • وتبشيره هذا جعل أتباعه يعلقون آمالهم على خليفته (27) •

وقد كان الاعتقاد بالغيبة والرجعة عند الشيعة موضع استهجان من جانب أهل السنة ولكن علماء الشيعه بذلوا جهودهم للتدليل والبرهنة على صحة معتقداتهم لا سيما فيما يتعلق بحياة الامام الخفية الطويلة ، بل ذهبوا الى القول بامكان الاتصال بالامام الغائب أو «قائم الزمان» ، وتضم بعض كتب الشيعة ـ مثل كتاب قائمة كتب الشيعة للطوسي وكتاب كشف القناع للكاظمي، أمثلة لاتصالات جرت بين بعض صفوة الشيعة والامام الخفي(28) وقد أفاضت كتب الشيعة في اثبات عقيدة الامام الذي اختفى وسيعود في صورة المهدي المنتظر • وقد استشهدت هذه الكتب بعديد من الأدلة العقلية والنقلية (29) ولعل من أهم هذه الكتب كتاب الكافي للكليني (المتوفي سنة 328 أو 329 هـ) وكتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه الأصغر (المتوفي سنة 381 هـ) وكتاب تهذيب الأحكام لأبي جعفر بن الحسن الطوسي ، وكتاب ابن بابويه أيضا حول غيبة المهدي

---

26 ـ أبو العباس أحمد النجاشي ، كتاب الرجال ، بومباي 1317 هـ ، ص237، وعن عقيدة الرجعة عموما يمكن الرجوع الى : ابن سعد ، الطبقات الكبيرة ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 26 ، الجزء السادس ص 159 .

27 ـ د . فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، مرجع سابق ، ص 233 . ويشير في هذا الصدد الى أن جعفر الصادق قد تخلص بهذه النبوءة من الحاح الشيعة عليه بضرورة الثورة على العباسيين ، وبذلك برر سياسته المسالمة .

28 ـ أنظر : النجاشي ، كتاب الرجال ، مرجع سابق ، ص 184 ، 251 ، جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 196-197، 344 - 345 .

29 ـ يمكن الرجوع الى بعض كتب الشيعة ـ لا سيما الشيعة الاثنى عشرية ـ حول عقيدة المهدي المنتظر في : د . أحمد محمود صبحي ، نظرية الامامة عند الشيعة الاثنى عشرية ، القاهرة 1969 .

المسمى « كمال الدين وتمام النعمة » ، وكتاب دعائم الاسلام للقاضي النعمان بن محمد بن حيوان المغربي (المتوفي سنة 363 هـ) (30) . وقد ذكر الشهرستاني عددا كبيرا من رجال الشيعة وفقهائهم ومصنفي كتبهم (31) .

والامام المهدي في الغيبة يعيش عيشة هانئة ، فطعامه العسل والماء ، ويظلله الغمام ، وتحادثه الملائكة . وقد عبر عن هذا المعنى السيد الحميري ، حيث يصف محمد بن الحنفية بقوله : (32) .

وما ذاق ابن خولة طعم موت … ولا وارت له أرض عظاما
لقد اوضى بمورق شعب رضوى … تراجعه الملائكة الكلاما
وان له به لمقيل صدق … وأندية تحدثه كراما
هدانا الله اذ جرتم لأمر … به ولديه نلتمس التماما
تمام مودة المهدي حتى … ترى راياتنا تترى نظاما

ويقول أيضا : (33)

سقا جدثا تضمنه ملث … هتوف الرعد مرتجزا رواء
تظل مظلة منها عزال … عليه وتغتدي أخرى ملاء
وسيط لا يذوق الموت حتى … يقود الخيل يقدمها اللواء
من البيت المحجب في سراة … شراة لف بينهم الاخاء
عصائب ليس دون اغر أجلى … بمكة قائم لهم انتهاء

30 ــ يعد القاضي النعمان أبا حنيفة الشيعة . أنظر : دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الرابع عشر ، مادة الشيعة ، ص 69ــ72 .

31 ــ أنظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الاول . ص 190 .

32 ــ الأصبهاني ، الأغاني ، مرجع سابق ، الجزء الثامن ، ص 32 .

33 ــ المرجع السابق ، الجزء السابع ، ص 9ــ10 ، ويذكر الأصبهاني في موضع آخر أبياتا مشابهة لابيات الحميري مبنى ومعنى للشاعر كثير الذي كان متشيعا أيضا لابن الحنفية ، حيث أورد قول كثير :

وسيط لا تراه العين حتى … يقود الخيل يتبعها اللواء
تغيب لا يرى عنهم زمانا … برضوى عنده عسل وماء

أنظر : المرجع السابق ، الجزء الثامن ، ص 32 ، البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 28ــ29 ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 150 .

وعلاوة على هذه الصفات التي يوصف بها الامام المهدي عند الشيعة ، وهي صفات تخرجه عن حدود الطبيعة البشرية ، فقد وصف أيضا بأنه مطهر من الذنوب ، مبرأ من العيوب ، ليست لديه دوافع للشر ، ولا تستهويه المعاصي • وقد أرجع الشيعة هذه الخصائص للصفات الالهية أو للمادة الالهية ، التي يحملها الامام • فهذه المادة الالهية تجعله في أعلى مراتب العلم اليقيني أو « العصمة » من الزلل والخطيئة (34) • ولكن بعض الشيعة يغالون في هذه الصفات الالهية ، فلا يجعلون لأجسام الأئمة ظلا ، ويعتقدون أن الامام المهدي لا يصيبه جرح أو أذى ، بل تصل هذه المبالغة أحيانا الى حد تأليه الامام ، أو تصور ظهور الاله في أشخاص الأئمة ، حيث يتـلاشى العنصر البشري في الامام ولا يبقى الى جانبه محل للاله ، وهؤلاء هم الذين حوربوا باعتبارهم « غلاة » من جانب الزيدية والامامية على حد سواء • ومن هذه الفرق الغالية نذكر السبأية أتباع عبد الله بن سبأ الذين سموا عليا الها وشبهوه بذات الاله ، والخطابية أتباع أبي الخطاب الأسدي ، الذين قالوا بالاهية الأئمة ، وبالاهية أبي الخطاب نفسه بعد جعفر الصادق ، والبيانية أتباع بيان بن سمعان الذي قال « ان روح الاله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى صارت الى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ثم انتقلت اليه » ، والحربية المتفرعة عن البيانية أتباع عبد الله بن عمر بن حرب الكندي ، والجناحية أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الذي حكم عنه أتباعه أنه زعم أنه رب وأن روح الاله كانت في آدم ثم في شيث ثم دارت للناس بتلك الصورة عن طريق علي وأولاده الى أن صارت اليه ، والشريعية

---

34 ـ أنظر : رسائل الجاحظ ، القاهرة 1324 هـ ، ص 129 ، دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الرابع عشر ، ص 60 .

والنميرية الذين قالوا بأن « روح الاله قد حلت في خمسة أشخاص النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين » (35) •

ويذكر الشهرستاني أن أتباع هذه الفرق « غلوا في أئمتهم حتى أخرجوهم عن حدود الخليقية وحكموا فيهم بأحكام الألوهية • فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالاله ، وربما شبهوا الاله بالخلق ، وهم على طرفي الغلو والتقصير » (36) •

ويقول ابن حزم الأندلسي « أما الغالية من الشيعة فهم قسمان : قسم أوجب النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لغيره ، والقسم الثاني أوجبوا الالهية لغير الله عز وجل » (37) •

ان النظرية الشيعية القائلة بانتقال جوهر الحكمة الالهية من آدم الى الأئمة العلويين والتي يرمز اليها بـ «القائم» أو «الانسان الكامل » تحمل ـ كما يرى البعض » ملامح النظريات الغنوصية القديمة التي بلغت أوجها في ديانة «ماني» ، بمعنى آخر ، تحمل طابع « المخلص الغنوصي » الذي لن يقتل بل يقيد ويخدر ، ومن ذاته الخاصة الهابطة من عالم النور يوقظ ويؤوب الى وطنه الالهي وقد ارتبطت بهذه النظريات فكرة الوحي الواحد المبلغ بواسطة دورة أو سلسلة من الأنبياء والأئمة وفقا لنظرية الشيعة في الامامة (38) •

---

35 ـ أنظر : البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 214-215 ، 223-256 • وقد أشار البغدادي وغيره الى فرق أخرى ادعت الألوهية في اتباع الأئمة وفي بعض الخلفاء العباسيين مثل المنصورية في أبي منصور المجلى ، والمقنعية في المقنع الخراساني ، والعذاقرة في أبي العذاقر محمد بن علي الشلمغاني ، والراوندية في الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، ومن ثم لا تقتصر نزعة التأليه على الشيعة .

36 ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الاول ، ص 173 • وما بعدها .

37 ـ ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 183 وما بعدها .

38 ـ شيدر ، نظرية الانسان الكامل عند المسلمين ، مرجع سابق ، ص 37-45 .

وقد تكون نظرية بعض الشيعة في الامامة قد مزجت عقيدتي الامامة والمهدية بنظرية الفيض الأفلاطونية المحدثة • ويتجلى هذا الاتجاه عند الشيعة الاسماعيلية الذين وضعوا نظاما فلسفيا بينوا فيه المظاهر الدورية للعقل الكلي التي بدأت سلسلتها بآدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، عليهم السلام ، والتي تختتم بالامام السابع من أبناء اسماعيل بن جعفر الصادق وهو القائم أو المهدي المنتظر الذي ستكون رسالته أكمل وأعظم مما سبقها (39) •

ويذهب البعض الى أنه رغم امتزاج عقيدة المهدي عند بعض فرق الشيعة بالنظريات الغنوصية والأفلاطونية المحدثة ، الا أن للفكرة البشيرية جذورها العربية الأصيلة التي ظهرت منذ فجر الاسلام في صورة «مخلص» منتظر يعيد العدل الى نصابه • (40)

وخارج نطاق التشيع المعتدل ، ظهرت محاولات لانتهاج منهج « قبالي » لتأويل بعض آيات القرآن الكريم ، والقيام بتجميعات للحروف والأعداد ، الهدف منها هو تحديد موعد ظهور المهدي المنتظر • وتضم كتب الشيعة الذين اهتموا بهذا الأمر كتابا من تأليف محمد بن حسن بن جمهور القمى يحمل عنوان « وقت خروج القائم » ، وقد عرف أصحاب هذا الاتجاه منذ بداية الحركة الشيعية باسم «الوقاتين» أي المبالغين في

---

39 ـ لتفاصيل حول عقائد الاسماعيلية ونظرية الفيض وعلاقة المهدي المنتظر بنظرية الفيض الأفلاطونية أنظر : د . محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفاء ، مرجع سابق ، ص 214ـ288 .

40 ـ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 114 ـ 115 .

الوقت أو في تقدير وقت ظهور المهدي (41) وكثير من هذه التأويلات وردت في كتب سرية لهم أطلق عليها اسم «الحفر»(42)

ان اختلاف الشيعة حول الامامة ، وبالتالي حول المهدي المنتظر ، كان أحد أسباب انقسامهم الى فرق عديدة قدرها البعض كالمقريزي بأكثر من ثلاثمائة فرقة (43) • وقد كان عدم الاتفاق على شخص المهدي عند الشيعة أحد العوامل الرئيسية في تعدد الفرق الشيعية (44) كما كان للاخلاص والولاء الشخصي من جانب الأتباع لأحد الأئمة أثر كبير في التوقف على هذا الامام والادعاء بأنه « المهدي المنتظر » • وفي غالب الأحيان بلغ هذا الولاء درجة كبيرة من القوة بحيث لم يكن في مقدور الموالي أن ينصرف عن الامام بعد أن يموت ، بل انه لم يكن يؤمن بأنه مات حقيقة • وفي بعض الحالات كان يحدث أن يكون خليفة الامام شخصا غير أهل للامامة ، أو أن يكون صبيا قاصرا ، أو ألا يكون هناك وريث للامامة على الاطلاق • ومن ثم ، كانت هذه الأسباب مبررا للتوقف عند امام معين • ومن هنا أطلق على بعض هذه الفرق اسم « الواقفية » للتوقف عن الايمان باستمرار تتابع الأئمة • (45) وقد كان من نتائج تعدد

41 ـ أنظر على سبيل المثال : النجاشي ، كتاب الرجال ، مرجع سابق ، ص 64 ، وقد استند الوقاتون على آيات من القرآن الكريم في تحديد موعد ظهور المهدي ، مثل قوله تعالى « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » « سورة الأنعام ، من الآية 59) وقوله تعالى « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو » (سورة الاعراف ، من الآية 187 .

42 ـ حول معنى الحفر والتأويل الرمزي عند الشيعة أنظر : د . محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفاء ، مرجع سابق ، ص 111-112 ، 225 وما بعدها وانظر أيضا : لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 121 وما بعدها .

43 ـ المقريزي ، الخطط ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 292 وما بعدها .

44 – Encyclopaedia Britanica, op. cit., Art : Mahdi, p. 632.

45 ـ دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الرابع عشر ، ص 64 .

الأئمه والتوقف عند أئمة بعينهم ، حدوث صراعات علنية أحيانا ومستترة أحيانا أخرى بين المنتمين لفرق مختلفة (46) •

ويمكن أن نحصر أهم الحركات المهدوية الشيعية التي توقفت عند امام معين فيما يلي : (47)

1 ـ السبأية والناووسية ، وعلي بن أبي طالب عندها هو المهدي المنتظر •

2 ـ الكيسانية والبيانية والكربية والهشامية ، ومحمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب عندها هو المهدي المنتظر •

---

46 ـ من أمثلة ذلك المناظرة التي جرت بين السيد الحميري ومحمد بن علي بن النعمان المعروف بشيطان الطاق في صدد امامة محمد بن الحنفية ، فقد انتصر محمد بن علي على السيد الحميري ، فنظم الأخير قصيدة جاء فيها :

ألا أيها الجدل المعني ... ما لنا نحن ويحك والعناء
أتبصر ما تقول وأنت كهل ... تراك عليك من ورع رداء
الا أن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من نبيه ... هم أسباطه والأوصياء

أنظر : الأصبهاني ، الأغاني ، مرجع سابق ، الجزء السابع ، ص 9 ، ونشير الى أن ابن النعمان معروف عند أعدائه بشيطان الطاق ، وعند أتباعه وأنصاره بمؤمن الطاق .

47 ـ لتفاصيل حول هذه الحركات المهدوية يمكن الرجوع الى : دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الرابع عشر ، مادة «شيعة» ، ص60ـ66؛ الجزء الثالث ، مادة «بابي» ، ص 252ـ253 ، مادة الاسماعيلية » ، ص 385 ـ 386 ، الجزء الخامس ، مادة «باب» ، ص 500ـ510 ، المقريزي ، الخطط ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 293 وما بعدها ، جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 74،129، 176 ، 184 ، 191 ، 192 ، 212 ، 216 ، 241ـ253 ، 336 ، 337 ؛ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 16ـ79 ، 214ـ255 ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 28ـ190، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 179 ، 188 ، كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 132 ، 228 ، 254 ، 665 ، 668 ، الأصبهاني الأغاني، مرجع سابق ، الجزء السابع ، ص 9 ، الجزء الثامن ، ص 32ـ33 ، الجزء الثامن عشر ، ص 57 ،

Enclyclopaedia Britanica, op. cit., Art : Mahdi, p. 632.

ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ص 97ـ98 .

3 ـ بعض الجارودية من الزيدية والمحمدية من الامامية وبعض المغيرية ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية هو المهدي المنتظر عندها .

4 ـ الباقرية وبعض المغيرية والمنصورية ، ومحمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب هو المهدي المنتظر .

5 ـ الخطابية وبعض الناووسية ، وعندها أن جعفر بن محمد المعروف بالصادق هو المهدي المنتظر .

6 ـ الواقفية والموسوية الممطورة والموسوية المفضلية ، وعندها أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق هو المهدي المنتظر .

7 ـ بعض الامامية والمباركية ، وعندها أن اسماعيل بن جعفر الصادق هو المهدي المنتظر .

8 ـ الشميطية ، وعندها أن محمد بن جعفر الصادق هو المهدي المنتظر .

9 ـ بعض الامامية ، وعبد الله الأفطح بن جعفر الصادق هو المهدي المنتظر .

10 ـ الواقفية والقرامطة ، وعندها أن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق هو المهدي المنتظر .

11 ـ القطيعية ، وعندها أن علي بن موسى المعروف بالرضا هو المهدي المنتظر .

12 ـ الشيطانية ، وعندها أن أحد أسباط موسى الكاظم هو المهدي المنتظر .

13 ـ الجناحية وبعض الكيسانية ، وعندها أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر هو المهدي المنتظر .

14 ـ بعض الجارودية من الزيدية ، وعندهم أن يحيى بن عمر ابن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب هو المهدي المنتظر .

15 ـ بعض الجارودية من الزيدية ، عندهم أن محمد بن القاسم ابن علي بن عمر بن الحسين بن علي بن أبي طالب هو المهدي المنتظر .

16 ـ بعض الامامية ، عندهم أن الحسن العسكري هو المهدي المنتظر .

17 ـ الاسماعيلية ، وعندها أن عبيد الله هو المهدي المنتظر .

18 ـ القرامطة ، ظهر فيهم سليمان بن الحسين باعتباره المهدي المنتظر الذي كانوا ينتظرونه .

19 ـ الاثنى عشرية والقطيعية ، وعندها أن محمد بن الحسن العسكري هو القائم المهدي المنتظر .

20 ـ الدروز وعندهم أن الحاكم بأمر الله هو المهدي المنتظر .

21 ـ البابية ، وعندها أن ميرزا علي محمد الشيرازي هو المهدي المنتظر .

22 ـ البهائية ، وعندها أن بهاء الدين هو المهدي المنتظر .

وتجدر الاشارة الى أن الاعتقاد في المهدي لم يرتبط دائما عند كل فرق الشيعة بنظرية الامامة . فقد ظهرت عند بعض فرق الشيعة اتجاهات قوية لانكار فكرة المهدي المنتظر (48) .

---

48 ـ ظهر بين كبار علماء الشيعة الاثنى عشرية نفسها من أنكر حياة محمد بن الحسن العسكري في الغيبة ، فأبو سهل اسماعيل بن علي بن نوبخت ، وهو من كبار علماء الشيعة ، له رأي في القائم من آل محمد لم يسبق اليه وهو قوله بأن الامام محمد بن الحسن قد مات في الغيبة ، وقد تلاه في الغيبة ابنه ، وكذلك فيما بعد من ولده الى أن ينفذ الله حكمه في اظهاره (أنظر : ابن النديم ، الفهرست ، مرجع سابق ، ص 176) ، وبعض الفرق التي قالت بامامة الحسن العسكري ذهبت الى القول بأنه

ويتجلى هذا الاتجاه عند فرقتين من الفرق الرئيسية في الشيعة هما الزيدية والاسماعيلية •

أ ــ فالزيدية ــ التي هي أقرب مذاهب الشيعة الى المذاهب السنية ــ لا يؤمن المنتمون اليها بعقيدة الامام المختفي ، اذ أن نظريتهم المثلى في الامامة هي الامامة النشيطة العاملة (49)، الى حد أنهم أجازوا خروج امامين في قطرين في وقت واحد ويكون كل منهما واجب الطاعة (50) • ومن ثم ، كان ايمان الزيدية بالتقية أقل بكثير من ايمان الشيعة الامامية الاثنى عشرية ، لدرجة أنهم لا يحلون التقية للامام اذا كان أعوانه في مثل عدد أهل بدر (51) • ولذا ، فقد اتجه الزيدية في مسألة ظهور الاله في الأئمة اتجاها عقليا • فأنكروا حلول النور الالهي في شخص معين من العلويين ، وأولوا ذلك بأنه مجرد هداية وتوفيق • وهكذا كانت محاولاتهم المستمرة للوصول الى الخلافة مرتبطة بالجهاد بالسيف ، وكان استشهاد الأئمة بالنسبة لهم مصطبغا في جوهره بالصبغة السياسية وبذلك نجحوا في مقاومة كثير من الآمال التي كانت تعلق على ظهور

مات ولكنه يحيا وهو القائم ، لأن القائم في رأيهم هو القيام بعد الموت ، ومن ثم قطعوا بموت الحسن دون شك وأنه لم يكن له ولد ، وأنه يجب أن يحيا بعد الموت ، وفرقة أخرى قالت أن الحسن قد مات وأوصى الى أخيه جعفر وفرقة أخرى قالت أنه مات وصح موته (أنظر وجهات النظر المختلفة في هذا الصدد في : الشهرستاني : الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الاول ، ص 170–172) •

49 ــ أنظر حول موقف الزيدية من عقيدة الامام المختفي : ناجي حسن ، ثورة زيد بن علي ، مكتبة النهضة ، بغداد 1966 ، ص 172 ــ 173 ، 196 •

50 ــ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 154 ــ 155 •

51 ــ أنظر :

R. Strothmann, Takia, The Shorter Encyclopaedia of Islam, Leiden 1953.

المهدي (52) ، وقد هاجم الزيدية القائلين بالامام المختفي أو الغائب بقولهم : (53)

امـامنـــا منتصـــب قـــائـــم   لا كالـــذي يطلب بالغربلـــة
كـــل امـــام لا يرى جهـــرة   ليس يســـاوي عندنا خـــردلة

الا أننا رغم ذلك ، لا نستطيع أن نـنـكر أن الآمال المهدوية ظهرت بين جماعات صغيرة من الزيدية ، فمنهـم « من وقف وقال بالرجعة » (54) كبعض الجارودية الذين اعتقدوا أن المهدي المنتظر هو محمد بن عبد الله النفس الزكية أو يحيى بن عمر أو محمد بن القاسم كما أشرنا من قبل (55) .

ب ــ والشيعة الاسماعيلية اضطروا الى التقية واخفاء عقائدهم بسبب ظروف البيئة التي أحاطت بهم ، والتي لـم تكن تسمح لهم بالمقاومة العلنية للنظام الحاكم . فقد لجأوا الى التقية لا لتبرير عدم الجهاد والاكتفاء بلعن الخصوم ، بل لتنظيم قواهم بصورة سرية الى أن يحين وقت اعـلان الثورة . ولذا فقد كانوا يرون أنه « ليس اماما من قعد عن السعي الى حقه وتحت امرته أربعون رجلا » . وكانوا يرون التقية والاستتار أمرا لا مفر منه حينما يغلب الباطل الحق ، وتظهر دولة أهل الشر ، فيكون حجة الله عز اسمه، في أرضه وخليفته في عباده « مخفيا مستورا » ، ولذا فان يوم التقية ــ كما عبر عن ذلك اخوان الصفاء الذين

---

52 ــ دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الرابع عشر ، ص 63 .

53 ــ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 54 .

54 ــ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 29 .

55 ــ حول أعتقاد بعض الجارودية في المهدي المنتظر يرجع الى : البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 23 ، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 179 ، ومن الغريب أن ابن حزم يجعل فرقة الكيسانية أصحاب المختار بن أبي عبيد من فرق الزيدية . ويرى أنها تؤمن بأن المهدي المنتظر هو محمد بن الحنفية .

يمثلون المدرسة الفكرية للاسماعيلية ـ هو « يوم الحزن والكآبة ، يوم رجوعنا الى كهفنا وكهف التقية والاستتار ».
ويظل حالهم كذلك حتى يحين « وقت البروز والخروج والرجوع بعد الذهاب » (56) .

وفي اطار النظرية الثورية التي تعتمد على أسلوب التنظيم السري ، لم يؤمن الشيعة الاسماعيلية بفكرة الرجعة أو اختفاء الامام وغيبته ثم عودته في المستقبل في صورة « المهدي المنتظر » . بل نجدهم على العكس ، يهاجمون أصحاب العقائد التي تؤمن بالرجعة ، ويركزون هجماتهم في هذا الصدد على الامامية الاثنى عشرية التي تؤمن بأن الامام محمد بن الحسن العسكري الذي اختفى طفلا سيعود في آخر الزمان وأنه هو المهدي المنتظر فقد هاجم اخوان الصفاء قول دعبل الخزاعي في صدد الامام المختفي الذي طال انتظاره حيث قال :

ألم تر أني مذ ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات

ويرى الاخوان في هذا القول أنه يدل على اعتقاد فاسد ، لأن صاحبه « يبقى طول عمره منتظرا لخروج امامه ، متمنيا لمجيئه ، مستعجلا لظهوره ، ثم يفنى عمره ويموت حسرة وغصة لا يرى امامه ولا يعرف شخصه من هو » (57) .

أما المهدي المنتظر عند الاسماعيلية ، فهو امام حقيقي ظاهر لأتباعه ينظم ويقود نضالهم السري ، ولكنه مستتر عن أعدائه . وهو بذلك يختلف عن امام الاثنى عشرية المختفي عن أعين شيعته وأعدائه جميعا . فالمهدي المنتظر عند الاسماعيلية هو ذلك الذي ينطبق عليه قول الشاعر : (58)

56 ـ أنظر : رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، دار صادر ـ دار بيروت ، بيروت 1957 ، الجزء الرابع ، ص 270 ، 381 . وانظر أيضا : د . محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفاء ، مرجع سابق ، ص 132 .

57 ـ رسائل اخوان الصفاء ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 71–72 ، 523–524 .

58 ـ المرجع السابق ، الجزء الرابع ، ص 148 .

ولعل أهم دلالة سياسية يمكن أن نستخلصها من الفرق بين المهدي المنتظر عند الاسماعيلية والاثنى عشرية والفرق الأخرى عدا الزيدية ، هي أن اختفاء الامام تعني أنه يواصل الجهاد والنضال بصورة سرية لا علنية عند الاسماعيلية ، أما غيبة الامام واختفائه عند الفرق الأخرى فتعني التوقف عن متابعة النشاط السياسي تماما مع الاحتفاظ بالأمل في معاودة النشاط في رجعة مظفرة لامامهم المهدي المنتظر مستقبلا . (59)

والدولة الفاطمية ـ التي ظهرت نتيجة للجهود والنشاطات السرية في دور الستر للاسماعيلية ـ لم تقل بالرجعة ولم تعتقد في المهدي المنتظر . وقد كان ذلك نتيجة منطقية لتحقق الوجود المادي لدولة اسلامية يحكمها أحد الورثة الشرعيين ـ من وجهة نظرهم ـ من آل البيت . ففي دور الستر كانت الدعوة قائمة لبث الآمال في قرب ظهور الامام المستتر « المهدي المنتظر » وذلك حينما يتحقق النصر ويحين « دور الكشف » وعندما تحقق هذا الأمل لم يعد هناك مجال للقول بفكرة انتظار الامام المهدي . ولهذا لم يقل الفاطميون بالرجعة (60) لدرجة أن أحد الفاطميين تلقب بلقب «القائم» وهو الخليفة الفاطمي أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي (61) . وقد عبر أبوطاهر زعيم قرامطة البحرين عن اعتقاده بمهدوية عبيد الله المهدي مؤسس دولة الفاطميين في شعر له حيث قال : (62)

---

59 ـ د . محمد عبد الهادي شعيرة ، محاضرات في تاريخ العصر العباسي الأول، كلية الآداب جامعة عين شمس ، 1969 ، ص 26 .

60 ـ أنظر كتاب المعز لدين الله الفاطمي الى جوذر ليعلمه بوفاة المنصور بالله في : الجوذري ، سيرة الأستاذ جوذر ، تحقيق د . محمد كامل حسين ، و د . محمد عبد الهادي شعيرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 72 ـ 74 .

61 ـ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 252 .

62 ـ أنظر : أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 225-226 .

أكيلهم بالسيف حتى أبيدهم فلا أبقى منهم نسل أنثى ولا ذكر
أنا الداع للمهدي ولا شك غيره أنا الصارم الضرغام والفارس الذكر

وقد ظل هذا الاعتقاد في أئمة الفاطميين ــ باعتبارهم تحقيقا وتجسيدا للمثل العليا في الحياة ولنظرتهم المثالية في الامامة والخلافة ــ سائدا طوال عهود قوة الدولة الفاطمية حتى نهاية عصر الحاكم بأمر الله ، حيث بدأت تظهر من جديد عقيدة الرجعة لدي أتباع الحاكم من الدروز (63) • ثم انتشرت هذه العقيدة لدي مشايعي كل امام فيما بعد • بل لقد بدأ الخلفاء الفاطميون أنفسهم بعد اغتيال الخليفة الآمر (حوالي نهاية الربع الأول من القرن السادس الهجري) يدعون باسم « القائم الامام المنتظر »• ولا يزال أتباع المستعلية ــ خلفاء الطيب بن الآمر ــ يعتقدون أن الأئمة يعيشون في استتار تام بمكان ما ، ولسوف يظهرون حين يحين الوقت (64) •

ومن الملاحظ ، أن ادعاء المهدوية لم يصدر من أئمة الشيعة أنفسهم بل صدرت هذه الدعاوي من أتباعهم وغالبا بعد موت الأئمة أنفسهم (65) واذا درسنا الحركات المهدوية الشيعية التي ذكرناها ، لوجدنا أن الأتباع أنفسهم هم الذين كانوا يستحثون

---

63 ــ حول عقيدة رجعة الحاكم وتاليهه عند الدروز أنظر : عبد الله النجار ، مذهب الدروز والتوحيد ، دار المعارف ، القاهرة 1965 ، ص 109 وما بعدها .

64 ــ دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، مادة الاسماعيلية ، ص 386 • وقد استغل الحسن الصباح ــ الذي انحاز الى صف نزار بن الخليفة المستنصر ومن هنا عرفوا بالنزارية ــ فكرة المهدي المنتظر والتبشير بقرب ظهوره لجذب الأنصار والأتباع حتى تمكن من السيطرة على قلعة الموت وعرفت جماعته بالحشاشين ، أنظر : كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 281 ، جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 216 .

65 ــ من الحالات التي زعم الأتباع في حياة الامام أنه المهدي حالة محمد بن الحنفية حينما أرسل كتابا للمختار بن عبيد يشرح فيه ما حدث له ويطلب منه العمل على نجدته وانقاذه من الحبس ، وقد قرأ المختار الكتاب أمام أتباعه وقال « هذا كتاب مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم قد تركوه ومن معه محصورا عليهم كما يحصر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق في الليل والنهار ، لست أبا اسحاق ان لم أنصرهم نصرا مؤزرا » . أنظر ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 97 .

الأئمة لاعلان امامتهم ـ ثم يتولى هؤلاء الأتباع ـ بعد موت الأئمة أو استشهادهم ـ نشر الفكرة المهدية ، بل واعلان نبوة الامام أو ألوهيته أحيانا • وكثيرا ما كان يحدث بعد موت الامام أن يعلن أحد أتباعه الأقوياء انتقال الامامة اليه ، أو الزعم بأنه نبي أو اله • وهذا يعني أن السياسة لا العقيدة كانت هي أهم دوافع هذه الحركات المهدوية • وفيما يلي بعض الأمثلة لبعض الأتباع الذين قادوا حركات مهدوية :

1 ـ عبد ابن سبأ الذي زعم أن عليا بن أبي طالب اله ، وأنه لم يمت وأنه المهدي المنتظر •

2 ـ هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي وهما من الأتباع الذين غلوا في حق علي بن أبي طالب وادعوا أنه اله واجب الطاعة (66) •

3 ـ المختار بن أبي عبيد الملقب أحيانا بكيسان • شارك فى ثورة مسلم بن عقيل ، ثم عمل في خدمة عبد الله بن الزبير، ثم انتقل الى تأييد محمد بن الحنفية ونادى بخلافته ، ثم أعلن بعد وفاته أنه لم يمت وأنه المهدي المنتظر (67) ثم ذهب المختار الى ادعاء النبوة لنفسه بعد ذلك (68) •

4 ـ بعد موت أبي هاشم بن محمد بن الحنفية قال بعض الهاشمية ، وهم البيانية ، بانتقال الامامة الى بيان بن سمعان التميمي الذي ادعى انتقال الجزء الالهي اليه وأنه هو الامام والخليفة وأنه المعني بقوله تعالى « هذا بيان

---

66 ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الاول ، ص 184 •

67 ـ المرجع السابق ، ص 147 ، ويشير الشهرستاني الى أن المختار كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا ، ويذهب الشهرستاني أيضا الى اعتبار الكيسانية فرقة غير المختارية •

68 ـ ابن حزم ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 184 ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 132 •

للناس » (69) كما قال بعض الهاشمية أيضا ، وهم الحربية ، أن الامامة انتقلت بعد أبي هاشم الى عبد الله ابن عمرو الكندي ، وادعت الحربية في زعيمها مثل دعوى البيانية (70) .

5 ـ أبو منصور العجلي زعم أن الامامة دارت في أولاد علي حتى انتهت الى أبي جعفر المعروف بالباقر . ثم ادعى العجلي أنه خليفته ، ثم ألحد في دعواه فزعم أنه عرج به الى السماء وأن الله تعالى كلفه بالتبليغ عنه ، بل ادعى الألوهية بعد ذلك . وقال أيضا أن النبوة في ستة من ولده آخرهم القائم . وكان أتباعه بعد موته لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه (71) .

6 ـ أبو مسلم الخراساني ، كان في أول أمره كيسانيا كما يرى البعض ، ثم اتصل بجعفر الصادق وأنبأه بأنه قد أظهر الكلمة ودعا الناس « عن موالاة بني أمية الى موالاة أهل البيت ، فان رغبت فيه فلا مزيد عليك » ، فكتب اليه جعفر الصادق قائلا « ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني » ، فاتجه أبو مسلم الى موالاة العباسيين (72) .

---

69 ـ قرآن كريم ، سورة آل عمران ، الآية 139 .

70 ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 151 ـ 153 ، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ص 185 ، 188 ، البغدادي الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 227ـ228 ، 233ـ234،242 .

71 ـ المرجع السابق ، ص 214 ، 234 ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 178ـ179 ، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 185 ، 186 .

72 ـ بعد أن تخلص العباسيون من أبي مسلم ، ظهرت عدة حركات مهدوية بين أتباعه زعم أصحابها أن الامامة انتقلت الى أبي مسلم بعد موت السفاح العباسي ، وأن أبا مسلم صار الها بحلول روح الاله فيه ، وأنه حي لم يمت ، وهم على انتظاره ، وأن الذي قتل كان شيطانا تصور للناس في صورة أبي مسلم . ومن بين هذه الحركات نذكر فرق الأبي مسلمية والبركوكية والروندية والرزامية . كما ظهرت أيضا بعد مقتل أبي مسلم حركات زرادشتية مناهضة للاسلام اعتقد أنصارها بعد موت مؤسس كل حركة أنه رفع الى السماء ، وأنه سيعود الى الدنيا يوما ما للانتقام من

7 ـ أبو الخطاب الأسدي ، زعم أتباعه أن روح الاله انتقلت اليه من جعفر الصادق (73) • بل زعموا أن أبا الخطاب ـ اله أكبر ـ بن جعفر • بل ادعى بعضهم الألوهية لمعسر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه وكان من أصحاب أبي الخطاب (74) •

8 ـ المغيرة بن سعيد العجلي ، الذي زعم أن محمد بن عبد الله النفس الزكية هو المهدي المنتظر ، ولكنه ما لبث بعد موت الامام محمد أن ادعى الامامة والنبوة ، وزعم أنه يعلم اسم الله الأعظم وبه يحيي الموتى ويهزم الجيوش • وبعد مقتله قال بعض أصحابه بانتظاره ورجعته (75) ، وحرموا على أنفسهم حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه(76)•

9 ـ أحمد الكيال الذي يقال بأنه كان من دعاة أحد الأئمة ـ ربما كان من الأئمة المستورين ـ من آل البيت بعد جعفر الصادق ، ثم صرف الدعوة لنفسه وادعى الامامة أولا ثم ادعى أنه القائم (77) •

أعدائه ، ومن اشهر هذه الحركات حركة المقنع الخراساني الذي قاد ثورة ضد العباسيين عام 159 هـ ثارا لمقتل أبي مسلم ، وقد زعم هذا الخراساني بأن روح الاله قد حلت فيه • أنظر : الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ص 153 ـ 154 ، البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 215، 242 ـ 244، 255، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 187 ، البيروني ، الآثار الباقية ، مرجع سابق ص 194 ، ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول، بيروت ، ص 218 ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، 182 .

73 ـ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 242 ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 179 .

74 ـ ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 187 .

75 ـ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 229-232 ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 176-178 .

76 ـ ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 185 .

77 ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 181 .

10 ــ ابن حوشب وأبو عبد الله الشيعي ، وكانا من أبرز دعاة الاسماعيلية في دور الستر . وقام الأول بالدعوة للمهدي المنتظر في اليمن (78) . وقام الثاني بالدعوة له في بلاد المغرب . وهو الذي مهد لخروج الاسماعيلية من دور الستر الى دور الكشف ، ومكن لعبيد الله المهدي اقامة دولته في المغرب (79) .

11 ــ حمدان بن الأشعث المعروف بحمدان قرمط ، استقل بالدعوة ــ بعد أن كان داعيا اسماعيليا ــ وصار «داعيا مطلقا» يقوم بالدعوة دون أن يتبع أحدا (80) ولكنه لم يكشف هذه الحقيقة الا لخاصته من النقباء ، وكان باقي الدعاة يتسلمون « خواتيم من الطين الأبيض مكتوبا عليها: محمد بن اسماعيل الامام المهدي ولي الله » وكان هدف حمدان هو أن تظل الدعوة قوية بسبب ارتباطها ــ صوريا ــ بآل البيت (81) .

12 ــ محمد بن اسماعيل الدرزي وحمزة ، وكانا من دعاة الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي . وقد شبهاه بالله في

---

78 ــ أنظر : ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ... ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 30ــ31 ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ، القاهرة 1948 ، ص 67 ــ 68 .

79 ــ المرجع السابق ، ص 68ــ69 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، الجزء الثامن ، ص 10ــ11 ، المقريزي ، الخطط ... ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 11 ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ... ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 23 وما بعدها ، اليماني ، سيرة جعفر الحاجب ، مجلة كلية الآداب ، ديسمبر 1936 ، القاهرة ، ص 110 وما بعدها .

80 ــ المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي ، المجالس المؤيدية ، القاهرة ، الجزء السادس ، ص 329 .

81 ــ أنظر : د . محمود اسماعيل ، الحركات السرية في الاسلام ، مرجع السابق ، ص 186ــ187 ، آدم ميتز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري . القاهرة ، الجزء الثاني ، ص 62 ، 70ــ72 .

وحدانيته (82) ، ولذا أطلق على مذهب حمزة فيما بعد مذهب «التوحيد» . كما زعما أن الحاكم بأمر الله لم يمت بل هو في حالة «غيبة» وأنه سيرجع (83) ، بل ان حمزة نسب الامامة الى نفسه فيما بعد (84) .

ويتضح من هذه الأمثلة أن الأتباع لعبوا دورا كبيرا في السيطرة على شؤون الدعوة ، بل في السيطـرة على الأئمة أنفسهم أحيانا . وكان هؤلاء الأتباع يتحررون حينمـا تحين الظروف الملائمة من الدعوة الى الامام من آل البيت . كما أنهم لم يتقيدوا بمبدأ الشرعية وهو أن يكون الامام من أبناء علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل في بعض الحالات كانت الدعوة لعلويين من غير أبناء فاطمة . وفي أغلب الأحيان كان الأتباع ينسبون الامامة والمهدوية ، بل النبوة والألوهية ، لأنفسهم بعد موت الامام وتنحيته باعتباره المهدي المنتظر . وفي أحيان أخرى ، كان الأتباع يغيرون ولاءهم من امام الى امام آخر ، أو يتركون موالاة الأئمة كلية (85) .

---

82 ـ تقوم فلسفة الاسماعيلية ، ومن ثم فلسفة الفاطميين ، على أساس نظرية المثل الأفلاطونية والمقابلة بين عالم المثل أو العالم العلوي وعالم الواقع أو العالم الأرضي ، وهكذا ، فقد قابلوا بين الموجودات الالهية والكائنات الأرضية ، فكان الامام ـ الممثول ـ بالنسبة للبشر ، يشبه الله ـ المثل ـ بالنسبة للكون ، وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم قول ابن هانىء الأندلسي للخليفة الفاطمي :

ما شئت لا ما شاءت الأقـدار فـاحـكم فـانت الواحد القهار

83 ـ دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء التاسع ، مادة «الدروز» ، ص 214-219 ، الجزء الثالث ، مادة «الاسماعيلية» ، ص 385 ، الجزء الرابع عشر ، مادة «الشيعة» ، ص 63 ، جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 216 ، بروكلمـان ، تاريخ الشـعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 254-255 .

84 ـ عبد الله النجار ، مذهب الدروز والتوحيد ، مرجع سابق ، ص 115 وما بعدها .

85 ـ أنظر على سبيل المثال ترك زراره بن أعين القول بامامة عبد الله بن جعفر في الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 186 .

وفي العصور الحديثة نسبيا ، ظهرت بين الشيعة حركات مهدوية زعم القائمون بها أن كلا منهم هو المهدي المنتظر • ولعل من أشهر هذه الحركات : البابية والبهائية •

فالبابية ، أو «أهل البيان» أتباع السيد علي محمد الشيرازي الذي أعلن عام 1260 هـ ، 1844 م أنه «الباب» الذي أشرقت منه على العالم الرغبة المعصومة للامام المستور ، ثم سرعان ماجال في خاطره أنه أكبر من أن يكون أداة لامام الزمان ، ومن ثم اعتبر نفسه « نقطة أعلى » أو «النقطة العليا» ، فأعلن عن رسالته باعتباره المهدي المنتظر أو القائم ، وأعلن أنه بشير دورة نبوية جديدة • ثم دعا نفسه بعد ذلك «المرآة» التي يستطيع بها المؤمنون أن يشاهدوا الله نفسه (86) وسرعان ما تحولت دعوته الى حزب سياسي (87) مما ترتب عليه مقاومتها من جانب السلطات الحاكمة في بلاد الفرس ، وانتهت باعدامه بعد حوالي خمس سنوات من بدء الدعوة • وقد وردت تعاليم الباب في كتابه « البيان » الذي يدور حول توقع ظهور « الرجل الموعود» أو النبي المقبل ، والذي يقترن ظهوره بملاحم وفتن خصص لها الباب عديدا من صفحات البيان (88) وقد كانت الأحوال الاجتماعية موضع اهتمام الباب ، فأتى بأفكار تدعو الى الاخاء بين كافة أفراد الجنس البشري ، وتدعو الى المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة • (89) •

---

86 ـ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 665، جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 241-244 ، وقد جرت مناظرة بين أحد علماء الشيعة وبين الباب حيث سأله العالم الشيعي : من تكون فأجاب الباب ثلاث مرات : اني أنا الموعود ، وأنا الذي دعوتموه منذ ألف سنة ، وتقومون عند سماع اسمه ، وكنتم تشتاقون للقائه عند مجيئه ، وتدعون الله بتعجيل ساعة ظهوره ، الحق أقول لكم أن طاعتي واجبة على أهل الشرق والغرب . أنظر : محمد سيد كيلاني ، ذيل الملل والنحل ، مرجع سابق ، ص 48-49 .

87 ـ دائرة المعارف الاسلامية ، الجزء الثالث ، مادة «بابي» ، ص 252 ، الجزء الخامس ، مادة «باب» ، ص 504-505 .

88 ـ المرجع السابق ، ص 507-509 .

89 ـ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 242 .

أما البهائية ، فقد ظهرت بعد اعدام مؤسس الحركة البابية ، حيث التف أغلبية أشياع الباب حول «بهاء الله» الذي سعى الى تحقيق المرحلة التالية في النظام الدوري التعاقبي ، فأعلن بأنه المظهر الأكمل الذي بشر به الباب ، وأنه أعظم من الباب الذي كان يمثل «القائم» ، أما البهاء فهو «القيوم» • ودافع بهاء الله أيضا عن فكرة الديانة العالمية التي تحقق الاخاء بين الناس جميعا • وقد انعكست فكرة العالمية على آرائه السياسية فقال : « لا فضل لمن آثر وطنه بالمحبة ، وانما الفضل لمن جعل العالم وطنا له » ، وهذه الأفكار تشبه الى حد كبير أفكار بعض الفلاسفة القدماء كالرواقيين فيما يتعلق بفكرة المواطن العالمي والدولة العالمية • وبسبب نزعة البهاء العالمية ، دعا أتباعه لدراسة اللغات الأجنبية حتى يتمكنوا من نشر ديانته العالمية التي هي « سبيل الاتحاد والدعامة الكبرى للوفاق والمدنية » • كما حرمت تعاليم البهاء الحرب تحريما قاطعا ، وحظر الرق حظرا باتا ، ودعا الى عدم التمييز في الحقوق والامتيازات بين البشر ، وكان يدعو أيضا الى تقييد الحرية بالقوانين التي تقي الانسان الفوضى والهمجية والمفاسد (90) كما أوجب العمل على الجميع بحيث لا يأكل انسان من ثمار عمل غيره ، وحرم التسول والاستجداء، ودعا الى اصلاح اقتصادي في نظام الزراعة ، وحرم تعاطي المخدرات (91) وقد أوضح جميع هذه الأفكار في كتابه المسمى «اتيان» الذي ذاع بين أتباعه أكثر مما ذاعت مؤلفات المؤسس نفسه (92) •

---

90 ـ المرجع السابق ، ص 244-248 ،

Encyclopaedia Britanica, op. cit., art : Mahdi, p. 632.

91 ـ محمد سيد كيلاني ، ذيل الملل والنحل ، مرجع سابق ، ص 53 .

92 ـ وقد انتقلت زعامة الحركة من بهاء الله الى ابنه عبد البهاء بعد وفاة والده في سنة 1892 حيث وفق عبد البهاء في أن ينشر دعوته في بعض الدول الأوروبية وفي أمريكا ، وقد ضمت أعضاء عديدين في جميع المدن الأمريكية من مختلف الأديان ، كما انضمت لها جماعات كبيرة من الزنوج . أنظر : بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 667-668 .

ويمكن القول بصدد هذه الحركات المهدوية المنشقة عن الشيعة الاثنى عشرية والتي ادعى مؤسسوها أنهم وكلاء سيد الزمان الغائب ـ في بداية دعوتهم ـ قد قوبلت بالعداء الشديد من قبل الاثنى عشرية الذين يرون أن امامهم المهدي المنتظر هو محمد بن الحسن العسكري • ونشير هنا الى أن ادعاء الحلاج بأنه وكيل سيد الزمان كان قد أغضب الشيعة في عصره اغضابا شديدا مما ترتب عليه اشتراك أبي سهل النوبختي الشيعي الامامي اشتراكا فعالا في القضاء عليه (93) •

ومما لا شك فيه أن عقيدة الشيعة في الامام الخفي الذي لا بد من رجعته لاعادة النظم العادلة في الدين والسياسة ، تمتاز على العقائد المهدوية الأخرى بشدة رسوخها • وليس أدل على ذلك من أنها انعكست على الأنظمة السياسية الشيعية • فقد تضمن الدستور الفارسي الذي صدر في أوائل القرن الحالي اشارات الى الامام الخفي ، وعند افتتاح البرلمان آنذاك . دعا المجتمعون لامام الوقت متوسلين أن « يرتضي عملهم وأن يغضي عن أخطائهم » • كما استند كل من المؤيدين للدستور والمناهضين له على أن المهدي المنتظر يوحي بما يذهب اليه كل فريق (94) •

* * *

93 ـ سنتعرض لأفكار الحلاج حينما نتحدث عن المهدي المنتظر عند الصوفية .

94 ـ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 197 ، 345-346 .

المبحث السادس

عقيدة المهدي المنتظــــر عند الصوفية

بدأ يظهر الخلاف بين الحكومة الاســلامية وبين الأتقيــاء والزهاد منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (1) فقد نشب الخلاف بين معاوية والي الشام من قبل عثمان وبين أبي ذر الغفاري حول قوله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » (2) فقد رأى معاوية في هذه الآية تحذيرا لا يمكن أن ينطبق على الظروف الواقعية للدولة الاسلامية ، وأن التحذير في نظره موجه الى أهل الديانات الأخرى • أما أبو ذر فقد رأى عكس ذلك ، حيث قال أن الآية « نزلت فينا وفيهم » ، فرأى معاوية أن في هذا التفسير خطورة تستوجب رفع أمر أبي ذر للخليفة الذي أمر بابعاده الى قرية نائية لكي لا تؤثر آراؤه في الرأي العام بصورة مخالفة لما ظهر من نزعة دنيوية بدأت تستشري منــذ تأسيس الدولة الأموية فيما بعد (3) •

---

1 ـ أنظر حول هذا المعنى : طه حسين ، الفتنة الكبرى (عثمان) ، القاهرة 1947 ، ص 195 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 3 ، الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 368 وما بعدها .

2 ـ قرآن كريم ، سورة التوبة ، من الآية 34 .

3 ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 166 . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 372ـ 374 .

والواقع أن حياة الأمويين الدنيوية وعدم تدينهم العميق وتظاهرهم بالتقوى ـ باستثناء حالات نادرة كحالة الخليفة عمر ابن عبد العزيز ـ لم تكن تتفق مع ما كان ينتظره منهم الأتقياء والزهاد الذين كانوا يتخذون من الحكومات الاسلامية في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وفي عهدي أبي بكر وعمر بن الخطاب مثلا أعلى . ولم يتمكن الأتقياء والزهاد من محاربة أمثال هؤلاء الحكام ، أو حتى عدم الاعتراف بسيادتهم وسلطانهم بصورة عملية ، بل رأوا أنه يتعين تحمل الحكومة القائمة بحكم الضرورة ، وتجنب الاحتكاك بها ، على أساس أن ما أراده الله لا بد وأن يكون ، وبذلك سادت أفكار الجبرية التي شجع الأمويون على انتشارها ورواجها على نطاق واسع .

ومن ثم ، لم يكن هناك مناص للمرء ـ لا سيما الزاهد الصوفي المغترب عن الحياة الدنيا ومباهجها ـ الا أن يضع رجاءه في الله الذي يبعث من سيحكم يوما ما العالم المليء بالشرور والآثام . ولا مراء في أن هذه الآمال الصامتة تشكل بيئة ملائمة لكي تنبت فيها فكرة المهدي أو الحاكم الالهي الذي يوجهه الله توجيها حسنا ، كضرورة لا محيص عنها للتوفيق بين الحياة الواقعية السيئة والمثل الأعلى الذي يأملونه (4) ومن ثم ، يمكن القول بأن الميل الى الزهد كان مرتبطا بالنقمة على الحكومة القائمة ، ولكنه من ناحية أخرى كان يعكس موقفا سلبيا لا ايجابيا في مواجهة السلطة ، لأن شعار « الفرار من الدنيا » الذي رفعه الزهاد أفقد سخطهم على النظام قيمته الايجابية حينما تحول الزهد الى مبالغة في النواحي التعبدية والأخلاقية في صورة حلقات الذكر الصوفية والمبالغة في التوكل الى درجة جعلتهم لا يبالون بشيء . بل لا يقتصر الأمر عند فرقة الدراويش « الملامتية » على الاهمال التام لكل مظاهر

4 ـ جولدتسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 71-74 .

الحياة فحسب ، لكنه يصل الى حد عدم الاهتمام بما يثيره مسلكهم من سخرية وفضيحة ومذمة عند الناس جريا وراء تطبيق مبدأ « ازدراء الاحتقار » . فكانوا أشبه ما يكونون بالكلبيين في العصور اليونانية القديمة (5) .

وعليه ، فقد يتوقع المرء ألا يكون مهدي الصوفية المنتظر شبيها للمهدي المنتظر عند أهل السنة أو عند الشيعة . بمعنى أن مهدي الصوفية لن يكون رجل دولة أو حاكما الهيا « يملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا » . ولكن هذا التوقع قد يكون مجانبا للصواب ، لأننا سنجد أن لمهدي الصوفية خصائص وملامح ووظائف لا تقل ثورية عن المهدويات التي أشرنا اليها بأي حال من الأحوال ، ان لم تفقها عمقا .

فالقائم عند الصوفية يعني مجيء عيسى « مجدد العصر » وشيخ الطريقة المثلى في نفوسهم (6) وكما هو الحال عند الشيعة ، فقد عبر بعض الصوفية عن فكرة خلود علي بن أبي طالب ورجعته . فقد روى الشعراني الصوفي المصري (المتوفي سنة 973 هـ — 1565 م) عن الولي «علي وفا» قوله « ان عليا بن أبي طالب رضي الله عنه رفع كما رفع عيسى عليه السلام. وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام » ، وأضاف الشعراني قوله « وبذلك قال سيدي علي الخواص رضي الله عنه فسمعته

---

5 — كان الكلبيون في دولة المدينة اليونانية يعتنقون سياسة التهرب ، ويعترضون على تقسيم الطبقات الاجتماعية القائم ، وكان تهربهم متمثلا في هجرهم كل ما اعتاد الناس أن يسموه بخيرات الحياة ومباهجها ، وقد نبذ أكبر ممثل لهم وهو كراتيس Crates ثروته لكي يحيا حياة فقر فلسفية كمتسول جوال ، وكثيرا ما كانوا يؤذون مشاعر الناس بمسلكهم ومظهرهم ، وكانت المساواة عندهم هي مساواة العدم Nihilism ، وكانوا يميلون نحو النسك والتزمت ، وبصورة عامة كانت نظريتهم السياسية تقوم على أساس فكرة الدولة المثالية Utopia ، أنظر حول الكلبيين وفلسفتهم السياسية : جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ، ترجمة حسن جلال العروسي وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة 1963 ، الكتاب الأول ، ص 174-177 .

6 — لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 131 .

يقول أن نوحا عليه السلام أبقى من السفينة لوحا على اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفع عليه الى السماء ، فلم يزل محفوظا في صيانة القدرة حتى دفع عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه » (7) .

وقد سبق أن أشرنا ، أن بعض الصوفية الأتراك زعموا أن الخضر والياس عليهما السلام حيان الى اليوم ، وادعى بعضهم أنه يلقى الياس في الفلوات والخضر في المروج والرياض ، وأنه متى ذكر الخضر حضر على ذاكره (8) .

ولبعض الصوفية أقوال حول الاجتماع بالمهدي والاتصال به. فيحكى الشعراني أيضا أن زميله الشيخ حسن العراقي (المتوفي حوالي 930 هـ — 1522 م) قد قرى المهدي أسبوعا كاملا في دمشق ، وأخذ عنه أساليب الذكر والزهادة ، وأن طول عمره — أي العراقي الذي قيل أنه عاش 127 سنة — يرجع الفضل فيه للمهدي (9) .

كما قام بعض المتصوفة باجراء حسابات تأويلية لتحديد وقت ظهور المهدي . وذلك بأن نهجوا هم أيضا نهجا «قباليا» كبعض الشيعة وبعض أهل السنة . لتأويل آيات من القرآن الكريم وتجميعات للحروف والأعداد قصدوا بها تحديد اللحظة التي سيظهر فيها المهدي (10) .

---

7 — جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 336 — 337 .

8 — ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 180 .

9 — لواقح الانوار في طبقات الأخيار ، القاهرة 1299 هـ ، الجزء الثاني ، ص 91 .

10 — جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 193 .

ان عقيدة المهدي عند الصوفية ذات صلة وثيقة بفكرة «القطب» عندهم (11) • كما ترتبط فكرة القطب من ناحية أخرى بفكرة «الانسان الكامل» وهي الفكرة التي أصبحت منذ محيي الدين ابن عربي الموحية والموجهة للتصوف الاسلامي المتأخر في نظرته لله والانسان والعالم باعتبارهم ثلاثة مظاهر لمعنى واحد ، وأن الانسان على هذا النحو هو حلقة الوصل بين الله والعالم ، وهو « خليفة » الله فيه تتجلى الألوهية ويستمر تجليها خلال العصور المتتابعة في صورة الأنبياء والأولياء ، ولهؤلاء الأولياء طبقات مرتبة ترتيبا هرميا تقع في قمتها مرتبة «القطب» • ويحمل القطب نفس ملامح وصفات الامام المستور عند الشيعة • وهذا القطب يمثل الوحي الالهي في كل جيل من الأجيال • ان الولي الكامل هو بعينه الانسان الكامل تماما ، وهو الخليفة لله في الكون • والصلة بين «القطب» أو «الخليل» أو «المحبوب» وبين الصوفي المريد هي أساس الشكل الخاص بالحياة الاجتماعية عند الصوفية • ويصل الحد في تمجيد « الخليل » الى درجة التأليه • وقد يكون «المحبوب» معاصرا للمريد (كما هي حالة شمس الدين التبريزي بالنسبة الى مريده جلال الدين الرومي) وقد يكون هناك فاصل زمني بين مؤسس الطريقة أو المحبوب وبين المريد (كما هي حال الامام أو علي بن أبي طالب بالنسبة للشيعة وبعض الصوفية ، أو حال الحلاج ـ المتوفي سنة 309 هـ ـ بالنسبة لمريده العطار الذي ولد بعده بحوالي قرنين من الزمان) (12) •

ويتفق بعض الصوفية أيضا مع القائلين من أهل السنة والشيعة بأن عهد المهدي سيكون عهد رخاء ووفرة ، على أساس المقولة بأن «القائم» سيكون بعثا اقتصاديا شاملا يمتاز اما بفيض المعادن

11 ـ الموسوعة العربية الميسرة ، اشراف : محمد شفيق غربال ، دار الشعب ، القاهرة 1959 مادة «المهدي» ، ص 1764 •

12 ـ شيدر ، نظرية الانسان الكامل عند المسلمين ... ، مرجع سابق ، ص 64-83 •

النفيسة أو بضرب نقود سليمة جديدة من الفضة مكعبة الشكل. ولعل هذا يفسر ما قام به الحلاج وابن تومرت من التعامل « بالدرهم المربع » (13) .

وفي نطاق التصوف يمكن أن نشير الى أهم الحركات المهدوية وبعض ملامحها ومضامينها السياسية فيما يلي :

1 ـ فأبو المغيث الحسين بن منصور المعروف بالحلاج ادعى أنه « الوكيل لسيد الزمان الغائب » مما أغضب الشيعة اغضابا شديدا الى درجة دفعت أبا سهل النوبختي الشيعي الامامي (المتوفي سنة 311 هـ ـ 923 م) الى الاشتراك اشتراكا فعليا في القضاء عليه (14) ويرى البعض أن قول الحلاج «أنا الحق» كان بمثابة ثورة أشعلت نار ثورة الأتراك(15).

وفي ابان حياة الحلاج كان أهل «طالقان» يقولون عنه أنه شعيب بن صالح الطالقاني مولى تميم والذي قيل انه يسبق مجيء القائم ، وأنه يقتل السفياني ويعطي الملك للقائم في مكة ، ويذبح كالشاة باعتباره شاهد المسيح المتعذب (16) .

والواقع أن نشاط الحلاج هذا بدا خطرا على النظام الاجتماعي المتهافت . ومن هنا لم يكن عسيرا على الفقهاء أن يوغروا صدور الحكام عليه الذين خشوا بدورهم مغبة أفكاره أو «فتنته» ، فاستفتى الخليفة جعفر المقتدر بالله

---

13 ـ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص 130 .

14 ـ دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الرابع عشر ، ص 77 .

15 ـ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ... ، مرجع سابق ، ص 121 .

16 ـ وقد رأى الشاذلية بعد ذلك بثلاثة قرون أن الشيخ بومدين الحامي لتلمسان هو الذي يسبق مجيء القائم . أنظر : السيوطي ، الحاوى ، القاهرة ، ص 2 ، 70-75 .

الفقهاء في دمه ، فأعدم صلبا في عام 309 هـ — 922 م(17)
وبعد اعدامه قالت طائفة بالاهيته ولكنها لم تقل برجعته
بعد موته (18) •

2 — ولعل من أهم الحركات السياسية التي قامت على أساس
فكرة المهدوية وخرجت من بين الأخويات الصوفية ، تلك
الحركات المهدوية في السودان والصومال وليبيا •

فالحركة المهدوية في السودان قامت على أســاس الاعتقــاد
بأن مؤسسها هو « المهدي المنتظر » (19) • وقد كان محمد بن
عبد الله المهدي منتميا للطريقة الصوفية « السمانية » ، واستقر
منذ عام 1870 م بجزيرة «آبا» في النيل الأبيض ، وكان يدعو
مريديه الى مكافحة الفساد الديني ، ودخل في روعه شيئــا
فشيئا أنه مدعو لأداء رسالة كبرى ، حتى وعد أشياعــه بأنه
سيملأ الأرض عدلا وصلاحا بوصفه المهدي المنتظر • وقد اقتنع
بعد رحلة قام بها الى «كردفان» بأن النقمة تسود كل أنحــاء
البلاد ضد السلطات المصرية وضد الاجراءات الاقتصادية القاسية
والحياة الاقتصادية المضطربة وفي يوليو 1881 أعلن باعتباره
سيدا للبلاد الجهاد ضد الكفار الذين يدخل في عدادهم المسلمون
غير المعترفين بدعوته (20) واستطاع أن ينقل مقر حكمه الى
الخرطوم بعد أن ألحق بالقوات المصرية الانجليزية المشتركــة
هزائم عديدة ومن ثم ، أصبح بشير حركة القومية السودانية ،
وتوفي في سنة 1885 م (21) •

---

17 — البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 247—249 ، بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الاسلامية** ، مرجع سابق ، ص 238 .

18 — يذكر ابن حزم هذه الطائفة ضمن فرق الشيعة ، ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 187 .

19 — محمد سيد كيلاني ، ذيل الملل والنحل ، مرجع سابق ، ص 57 .

20 — بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 641—649 .

21 — Encyclopaedia Britanica, op. cit., art : Mahdi, p. 632.

والحركة المهدوية في الصومال ، أسسها محمد بن عبد الله حسن في العقد العاشر من القرن التاسع عشر • وقد انتمى محمد ابن عبد الله الى الطريقة «الصالحية» • وسرعان ما أصبح له نفوذ كبير في قبيلته «أوجادين» • وفي سنة 1899 م أعلن أنه المهدي • وكانت له غزوات حربية ضد البريطانيين والايطاليين والأحباش طوال ما يقرب من عشرين عاما ، حتى توفي سنة 1920 م • وكان البريطانيون والايطاليون قد نجحوا في استصدار قرار من أستاذه (شيخ الطريقة) في مكة باعتباره مبتدعا أو زنديقا (22) •

ومن الحركات السياسية التي انبثقت أيضا من الصوفية في اطار الفكرة للمهدوية ، نذكر الحركة السنوسية التي أسسها محمد بن علي السنوسي في الجبل الأخضر بطرابلس الغرب سنة 1834 م ، ثم انتشرت من هناك في افريقيا الشمالية • وقد خلفه في زعامة الطريقة ابنه محمد المهدي الذي توفي عام 1901 م • وكانت للسنوسية «زوايا» يعيشون فيها على الزراعة، وينشرون منها مثلهم الثيوقراطية الخالصة ـ مفكرين أن يكون للسلطان التركي حق في الخلافة (23) وقد اشتهرت السنوسية بالطهارة والاصلاح ، وبأنها أقرب الطرق الى مذاهب أهل السنة وأبعدها عن فوضى الاعتقاد والطقوس الغربية ، وكانت تدعو الى تأسيس وحدة اسلامية تحكمها حكومة تحذو حذو حكومة الرسول عليه الصلاة والسلام (24) •

---

22 ـ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 649 •

23 ـ المرجع السابق ، ص 651 ـ 652 •

24 ـ أنظر : عبد اللطيف الطيباوي ، التصوف الاسلامي العربي ، دار العصور للطبع والنشر بمصر ـ القاهرة 1928 ، ص 57 وما بعدها ، وانظر أيضا :
R. A. Nicholson, The Mystics of Islam, London 1914, p. 139.

وهكذا . يمكن القول أن العقيدة المهـدوية في الاسـلام الصوفي لم تكن دائما عقيدة استاتيكية جامدة ، بل كانت لها جوانبها الديناميكية ذات الأبعاد الثورية الوطنية والقومية رغم ما وصف به التصوف من مغالاة في النواحي التعبدية والأخلاقية والابتعاد عن مشاكل الحياة الواقعية .



المبحث السابع

عقيدة المهدي المنتظر لدى بعض الفرق الاسلامية الأخرى

من الطبيعي ألا يتوقع المرء ظهور عقائد مهدوية بين الخوارج، على أساس أن هذه الفرقة طبقت عمليا مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودعت الى «الثورة على أئمة الجور» • وتاريخ الخوارج منذ ظهورهم هو تاريخ الثورة والكفاح المسلحين ، حتى قضى عليهم الأمويون الذين كانوا يقتلونهم لمجرد « التهمة والظن » ، ويبعثون الجيوش لاقتفاء آثارهم من بلد الى بلد حتى اختفت فرق الخوارج المختلفة من المسرح السياسي (1) •

وقد يكون من المستغرب ألا تنمو لدى الخوارج عقائد مهدوية في الفترة التي لجأوا فيها الى العمل السري المنظم ، والتي أخذوا فيها بمبدأ «التقية» بمعنى اظهار غير ما يبطنون(2)• ولعل الشيعة الذين اعتنقوا التقية أيضا ، كانوا أكثر قدرة على بث الآمال في نفوس أشياعهم من خلال عقيدة المهدي أو الامام المنتظر والتبشير بقرب ظهوره كوسيلة ايجابية تحول دون خمود جذوة الحماس في نفوس هؤلاء الأشياع • وقد يمكن تفسير

---

1 ــ أنظر : الدينوري . الاخبار الطوال ، القاهرة ، ص 257 ، ويمكن الرجوع لبعض التفاصيل عن فرقة الخوارج وتحولها من العنف الثوري الى الدعوة السرية المنظمة في : د . محمود اسماعيل ، الحركات السرية في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 17ــ42 .

2 ــ أشار الرازي الى اعتناق الخوارج لمبدأ التقية ، أنظر : الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين ، القاهرة ، ص 51 .

عدم ظهور الاعتقاد في المهدي عند الخوارج في فترة التقية ، بأنهم لم يلجأوا الى التقية الا لفترات قصيرة من أجل تنظيم قواهم للانتفاض على السلطة الحاكمة من جديد • أي أن نضالهم ونشاطهم السياسي لم يتوقف ، بل كان يتحول فقط من نشاط علني الى نشاط سري سرعان ما يتحول مرة أخرى الى نشاط علني حالما يفلحون في استقطاب عدد من الأتباع يكفي لاقامة « امامة الظهور » •

ورغم هذا ، فقد آمنت بعض فرق تنسب للخوارج بفكرة « الرجعة » فاليزيدية — التي تنسب الى الخوارج العجاردة حينا ، والى الخوارج الأباضية حينا آخر — ومؤسسها يزيد (أو زيد) بن أبي أنيسة (أو أبيسة) ، يعتقدون بأن شريعة الاسلام ستنسخ آخر الزمان بنبي يبعث من العجم (3) ، وينزل الله عليه كتابا دفعة واحدة (4) وقيل أن مؤسس هذه الفرقة ذكر أن أتباع هذا النبي المنتظر هم الصابئون المذكورون في القرآن ، وهؤلاء الصائبون هم غير الصائبة من أهل واسط وحران (5) ويذكر البعض أن نبي هذه الديانة هو « الشيخ عادي » الذي يروي عنه اليزيدية أخبارا وروايات عديدة ويرفعونه أحيانا الى مرتبة أعلى من مرتبة النبوة والقداسة (6) •

---

3 — البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 18 ، 349—350 •

4 — المقريزي ، الخطط ... ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 301 •

5 — ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 188—189 ، البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 63 ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص 136 •

6 — البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 271 ، ويذهب بعض مفكري الاسلام الى مهاجمة هذه الفرقة الى حد اخراجها من عداد الفرق الاسلامية ، وكما ينظر الى هذه الفرقة باعتبارها خارجة عن الاسلام ، ينظر الى الباطنية ، ومنها فرقة الاسماعيلية ، على أنها خارجة أيضا عن الاسلام ، ويبرر هذا الفريق ذلك بأن الباطنية تميل الى دين المجوس ، ويذكرون في هذا الصدد رجلا يعرف بأبي عبد الله العروي وأنه كان يدعى علم النجوم ويتعصب للمجوس ، وأنه صنف كتابا تنبأ فيه بعود الملك الى الفرس في القرن الثامن عشر من مولد محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث يخرج انسان يعيد الدولة المجوسية ويستولي على الأرض كلها ، وزعم أنه يملك سبع قرانات (نفس المرجع ، ص 271) ولكن غالبية الفقهاء والعلماء المسلمين يدرجون فرقة الاسماعيلية في عداد فرق الاسلام الرئيسية •

ومن بين الخوارج الذين اعتقدوا المهدوية ، فرقة صغيرة هي « الخلفية » • ففي أيام هارون الرشيد قصد من يدعى «حمزة» الخارجي نهر «شعبة» وقتل الكثير من الخوارج الخلفية ، وعقر أشجارهم وأحرق أموالهم ، وانهزم منه زعيم الخلفية اسمه مسعود بن قيس وعبر واديا وغرق فيه ، وشك أتباعه في موته وظلوا ينتظرونه (7) •

واذا انتقلنا الى المرجئة ، لوجدنا أنهم تأثروا بالشيعة في بعض المعتقدات لا سيما عقائدهم في «التأويل» و «التقية» و «المهدي المنتظر » • اذ لم يجد شيوخ المرجئة غضاضة في اظهار تشيعهم لأسباب سياسية • كما أنهم كانوا يتعاطفون مع آل البيت رغم بطش بني أمية وولائهم (8) ولعل هذا يفسر لنا ما ذهب اليه البعض من القول بأن أول من وضع مذهب الارجاء هو أبومحمد الحسن بن محمد بن الحنفية (9) وعلى أية حال ، فقد تلقت المرجئة فكرة « المهدي المنتظر » حينما تحولت دعوتهم الى السرية ، فقالوا بأن المهدي سيظهر « ليهدم سور دمشق ويزيل أمر بني أمية » ، بل لعلهم قد سبقوا العباسيين في الدعوة « لصاحب الرايات السود الذي يظهر من المشرق فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا » (10) •

وفي الهند ، ظهرت بين المسلمين هناك حركات وثيقة الصلة بالفكرة المهدية • وقد تزعم هذه الحركات رجال ادعى كل منهم أنه « المهدي المنتظر » ، وزعم كل منهم أن ظهوره وضع نهاية

---

7 ـ المرجع السابق ، ص 78-79 •

8 ـ أنظر في هذا الصدد : البلاذري ، أنساب الاشراف ، القاهرة ، ص 250 ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، مرجع سابق ، الجزء الخامس ، ص 245 وما بعدها ، الجزء السادس ، ص 112 وما بعدها ، 248-249 •

9 ـ القريزي ، الخطط ... ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص 291 •

10 ـ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، مرجع سابق ، الجزء السابع ، ص 331 وما بعدها •

لانتظار المسلمين للمهدي • وبسبب هذا الزعم يطلق على هذه الفرق اسم «غير مهدي» بمعنى أن أتباعها توقفوا عن الاعتقاد بظهور المهدي مستقبلا • وقد ظلت ذكرى أحد المهديين الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، عالقة بأذهان أهل مقاطعة كرمان (بلوخستان) حتى أوائل القرن الحالي • كما أسس أحد المهديين وهو الشيخ محمد الجنبوري (المتوفي سنة 1505 م) فرقة «ذكرى» أو «دائرة والي» ، وكانت هذه الفرقة في صراع مستمر مع «النمازي» السنيين في بعض مقاطعات الهند حتى أوائل القرن الحالي أيضا (11) •

وقد استغل لقب « المهدي » في تأسيس حركة دينية واجتماعية وسياسية جديدة في الهند ، وهي الحركة «القاديانية» أو «الأحمدية» (12) التي أسسها ميرزا غلام أحمد القادياني في أواخر القرن التاسع عشر • وقد رأى أحمد في نفسه أنه « المهدي » الذي ظهر في «روح عيسى وقوته» ، ومن ثم ، فهو المهدي الذي ينتظره المسلمون • وأضاف الى دعواه المزدوجة ــ بأنه عيسى وأنه المهدي المنتظر ــ زعما ثالثا وهو أنه «الآفاتار» Avatar (13) وقد أعلن دعوته عام 1880م، واستغل بعض الظواهر الطبيعية لتأكيد دعوته ، مثل كسوف

---

11 ــ يطلق على هذه الفرقة اسم «دائرة والى» أي أهل الدائرة لأنهم يشيدون دائرة من الأحجار في ليلة القدر ويؤدون في داخلها مناسكهم ، أنظر : جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 343 .

12 - Encyclopaedia Britanica, op. cit., art : Mahdi, p. 632.

13 ــ يقصد بكلمة Avatar في الأساطير الهندية نزول اله من الآلهة الى الأرض وحلوله في جسم انسان أو حيوان ، وتوجد جملة تظهر أحيانا منقوشة على مسكوكات الأفراد المسلمين في الهند تكشف عن عقيدتهم المزدوجة وهي :

L'indéfinissable est unique, Mohammed et son avatar.

ومعناها « اللامتناهي هي الواحد الفرد ، وقد تجسد في محمد » .
أنظر : جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 252 .

الشمس وخسوف القمر الذي حدث في رمضان من سنة 1312هـ ـ 1894 م ، لاثبات مهديته ، على أساس أن الآثار والأحاديث تشير الى أن ظهور المهدي ستصاحبه مثل هذه الظواهر الفلكية •

ومن الملاحظ أن مهدية القادياني تخالف طابع «المهدي» في الروايات الاسلامية • فمهديته تتسم بالطابع السلمي واسقاط الجهاد والتسامح وعدم التعصب ، بينما مهدي الروايات السنية والشيعية وغيرها فيصور في صورة قائد حربي يقاتل أعداءه ويقهرهم قبل أن يقر السلام ويعمم الرخاء ، ولذا يطلق عليه الشيعة أحيانا لقب «صاحب السيف» (14) وعلى أية حال ، فقد نقش على ضريح غلام أحمد الذي توفي في سنة 1908 م «ميرزا غلام أحمد موعود » ، وكلمة موعود تعني «المهدي المنتظر» • وقد أشار في وصيته أنه سوف يظهر مهدي جديد من أسرته في آخر الزمان (15) •

ويبدو أن تعاليم القاديانية لقيت تأييدا من الانجليز لا سيما وأنها تبطل الجهاد ، علاوة على أن غلام أحمد نفسه كان يمتدح حكم الانجليز ويرى فيه نعمة على بلاد الهند (16) •

* * *

14 ـ أنظر : الكليني «الكافي» طهران 1312–1318 هـ ، ص 350 •

15 ـ أنظر : جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 261 ـ 262 ، محمد سيد كيلاني ، ذيل الملل والنحل ، مرجع سابق ، ص 57–63 •

16 ـ عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، مرجع سابق ، ص 427 •

المبحث الثامن

المهدي المنتظر ومعضلة التغيير

ان تاريخ أي دولة هو تاريخ تتغير فيه العلاقات بين الحاكمين والمحكومين تغيرا دائما • فأحيانا تحدث التغييرات بالتدريج وبشكل غير محسوس ، وأحيانا أخرى تحدث التغييرات كنتيجة لاندفاع ثوري لقوى محبوسة أو مكبوتة ، وهو ما نسميه بالثورة •

ان التغييرات التي كانت تسعى اليها الحركات المهدوية التي ظهرت في الاسلام قديما وحديثا ، كانت تسعى الى احداث تغييرات في واقع الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية عن طريق القوة أحيانا • وكان ينظر الى هذه الحركات من جانب السلطة الحاكمة على أنها «فتنة» ، بينما كان المتعاطفون مع هذه الحركات يطلقون عليها «ثورة» • والفرق بين الفتنة والثورة هو الفرق بين سكونية سياسية تمثلها الطبقات الحاكمة والطبقات المستفيدة من هذا الحكم والتي ترى شبح الخطر على سلطانها ومصالحها في كل بادرة حركية جديدة فتنعتها بالفتنة ، وبين ديناميكية وحركية اجتماعية لطبقات اجتماعية مهضومة الحقوق ـ سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ـ وتسعى الى تغيير واقعها السيء عن طريق القوة لبلوغ غاياتها المستترة أو الظاهرة فتنعت حركتها بالثورة • واذا نظرنا الى الناحية اللغوية ، لوجدنا أن هناك فرقا بين الفتنة والثورة • فالفتنة تعني الابتلاء والامتحان والاختبار والضلال والاثم والجنون • أما الثورة فتعني الهياج

والغضب والفوران والوثوب والبعث والانبعاث ، واثارة الأرض تعني حرثها واستخراج خيرات جديدة منها • وبصفة عامة فان الفتنة تعكس معاني التضليل عن الحق والتهديم وذهاب المال والعقل ، أما الثورة فتعكس معاني البعث والاظهار والخلق الجديد (1) •

ان كلمة ثورة تستخدم غالبا لوصف أسلوب أحداث التغيير، ووصف نطاق ومدى هذا التغيير • في هذا المعنى الفضفاض للثوزة ، تعني الثورة كما يقول ما كييفر « الاشتمال على تغييرات حاسمة في سمة الحكم ، حتى رغم أنها قد لا تتضمن تحطيم النظام القائم بالعنف » • أما بمعناها الضيق ، فتشير كلمة ثورة الى الوسائل المستخدمة في احداث تغييرات معينة في نظام الحكم • فهذا المعنى الضيق لا يأخذ في الاعتبار مضمون الثورة أو أهدافها أو الثوريين الذين قاموا بها وكيف نجحوا في تحقيقها ، ولكن يركز هذا المفهوم الضيق على استخدام أساليب العنف أو الوسائل الدستورية المتطرفة من أجل تحطيم النظام الذي قامت الثورة لتتحداه وابداله بنظام أو دستور آخر • وعلى أساس هذا المعنى الأخير يعرف هارولد لاسكي الثورة بأنها « محاولة استخدام القوة ضد الحكومة ذات السلطة الشرعية لفرض تغيير ـ بواسطة أولئك الذين يستخدمون القوة ـ لما يجب أن تكون عليه الأعراض الحقيقية للدولة » • ومثل هذه المحاولات قد تأخذ شكل تآمر Conspiracy أو انقلاب Coup d'Etat أو عصيان Rebellion أو شغب Riot أو تمرد Mutiny أو ثورة قصر Palace revolution وذلك على ضوء لونها السياسي أو لونها العاطفي (2) •

---

1 ـ ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، مادتي «ثار» و «فتن» ، الرازي، مختار الصحاح ، مرجع سابق ، مادتي «ثار» و «فتن» .

2 — Dorothy M. Pickles, Introduction to politics, London 1970, pp. 84-86.

وهكذا يمكن القول بأن الحركات المهدوية التي لجأت الى استخدام أسلوب القوة من أجل تحقيق غاياتها • كانت تقوم بثورة ضد نظام الحكم القائم لمحاولة تحقيق بعث جديد أو محاولة خلق نظام جديد بطرق عنيفة (3) •

لقد جذبت الحركات المهدوية الاسلامية العناصر التي كانت تمثل الجماعات المضطهدة والجماعات الفقيرة كالموالي والعبيد ، والجماعات العرقية كالفرس وغيرهم •

فبالنسبة للموالي والعبيد ، نجد أن المشكلات الاجتماعية قد أصبحت منذ وقت مبكر جزءا من برنامج حركات المعارضة المختلفة لا سيما الشيعة • وقد يتضح ذلك اذا وقفنا على مضمون البيعة لزيد بن علي حينما خرج في الكوفة مطالبا بحق بيته في الخلافة ، حيث بايعه الناس على أن يتخذ من كتاب الله وسنة رسوله هاديا واماما ، وعلى أن يقاتل الحكام الآثمين ، ويحامي عن الضعيف ، ويقيم العدل في أمر أولئك الذين سلبوا أعطياتهم ، ويوزع موارد الدولة بالتساوي ، ويستدعي الجنود المقاتلين في البلدان النائية (4) وقد كان بروز المطالب الاجتماعية في كافة الحركات المهدوية سببا في انضمام الموالي والعبيد لهذه الحركات • ولعل أقدم مظهر لذلك يرجع الى عهد المختار بن عبيد الثقفي الذي جمع حوله الموالي والعبيد • ويزداد بروز هذه المطالب الاجتماعية عند بعض الفرق كالقرامطة على سبيل المثال • ورغم محاولة البعض وصف هذه المطالب الاجتماعية بأنها مجرد ستار يخفي وراءه حكومة أقلية مستبدة ، الا أن هذه المطالب كانت السبب الرئيسي الذي من أجل تحقيقه انضم الموالي والعبيد

---

3 ـ حول هذا المعنى للثورة أنظر : كرين برنتون ، الثورة ـ عناصرها ـ تحليلها ـ نتائجها ، ترجمة زيادة عناب وشجاع الأسد ، دار الكاتب العربي، بيروت ، وانظر أيضا الفصول التي كتبها د . حسن صعب حول الثورة في الاسلام في : د . حسن صعب ، الاسلام وتحديات العصر ، دار العلم للملايين ، بيروت 1974 ، ص 37–57 ، 71–109 .

4 ـ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 157 .

والفقراء الى مثل هذه الحركات بغض النظر عن مدى ايمان قادة هذه الحركات بتلك المطالب . وعلى أية حال ، فقد كان معظم فقهاء الشيعة من الموالي كما يشير الى ذلك ابن النديم (5) وقد بلغ بعض الموالي مكانة عظمى (6) عند أئمة الشيعة مثل يونس وهشام الجواليقي الذين التفوا حول علي الرضا وفي الأغاني اشارات كثيرة الى أن العبيد كانوا أكثر قربا من الشيعة (7) .

ويشير آدم ميتز الى أن الحركات المتعلقة بالمهدي كانت منذ أول أمرها حركات سياسية اتجهت الى الجماهير (8) فقد كانت الحركات الاجتماعية في حاجة الى مبرر ديني لاكسابها صفة الشرعية ، كما أن الدعوات الدينية ما كان يقدر لها أن تؤتي ثمارها الا في تربة اجتماعية ملائمة (9) وقد كانت بعض الفرق المهدوية ترفع شعارات تعبر عن هذا المضمون الاجتماعي . فكان القرامطة مثلا يسمون أنفسهم « المؤمنون المنصورون بالله والناصرون لدينه والمصلحون في الأرض » (10) . والعباسيون الذين استغلوا فكرة المهدوية لتحقيق مآربهم السياسية رفعوا هم أيضا شعار «المساواة» وشعار «الاصلاح» اللذين جذبا عددا كبيرا من الموالي الى الدعوة لما عانوه من تفرقة عنصرية في

---

5 – ابن النديم ، الفهرست ، مرجع سابق ، ص 219–224 .

6 – دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الرابع عشر ، مادة الشيعة ص 66 .

7 – الأصبهاني ، الأغاني . مرجع سابق ، الجزء الثاني ، ص 119 على سبيل المثال ، وانظر أيضا ما كتب حول الثورات المختلفة للموالي والعبيد لا سيما حول ثورة الزنج والتفافها حول أحد العلويين في ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، مرجع سابق ، حوادث سنة 257 ، ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، مرجع سابق ، ص 111 .

8 – آدم ميتز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، مرجع سابق ، الجزء الثاني ص 62 .

9 – عبد الجليل حسن ، ثورة الغاضبين ، مجلة الكاتب ، القاهرة ، العدد 117 ، ص 156 .

10 – أنظر : المقريزي ، ايقاظ الحنفا ... ، مرجع سابق ، ص 130 .

العصر الأموي • ومن يطلع على شعر سديف مولى أبي العباس مؤسس الدولة العباسية يلمس مدى المرارة التي كان يشعر بها الموالي في ظل حكم بني أمية (11) •

ولعل مما يؤكد ارتباط الموالي بحركات المعارضة ذلك النص الذي أورده ابن سعد من أنه كان للفقيه ابن أبي الجعد الغطفاني مولى له ستة بنين ، فكان اثنان منهم متشيعين ، واثنان مرجئين، واثنان يريان رأي الخوارج (12) •

ولم تكن المطالب الاجتماعية وحدها هي سبب تجمع بعض طبقات المجتمع الاسلامي حول زعماء الحركات المهدوية فحسب، بل كان لفكرة القومية دور هام فى تأييد الجماعات العرقية لمثل هذه الحركات المعارضة ، فقد كان منطلق انضمام الفرس للشيعة مثلا منطلقا قوميا ، كما أن الفكرة القومية قد جعلت بعض كبار رجال الدولة الايرانيين في البلاط العباسي يدينون بالولاء للشيعة الامامية ، ومن بين هؤلاء نذكر آل نوبخت على سبيل المثال (13) • ومعنى هذا أن فكرة المعارضة للنظام القائم التي انطوى عليها التشيع قد صادفت قبولا وترحيبا عند الايرانيين ، فانضووا بمحض اختيارهم تحت لواء هذه الفكرة الاسلامية التي أمكنهم أن يؤثروا في نموها بعض الشيء فيما بعد (14) •

---

11 ـ تتجلى هذه المرارة في قول سديف لأبي العباس وبنو أمية جالسين حوله .

لا تقيلن عبد شمس عقارا — واقطعن كل رقلة وغراس
أنزلوها بحيث أنزلها الله — بدار الهوان والاتعاس
خوفهم أظهر التودد منهم — وبهم منكم كحز المواسى
واذكر مصرع الحسين وزيد — وقتيلا بجانب المهراس

أنظر : الأصبهاني ، الأغاني ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص 93 .

12 ـ ابن سعد ، الطبقات الكبيرة ، مرجع سابق ، الجزء السادس ، ص 292.

13 ـ دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الرابع عشر ، ص 66 .

14 ـ جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، مرجع سابق ، ص 205 .

ويذهب البغدادي في صدد عرضه لمذهب الباطنية الى القول بأن الذين يروج عليهم مذهب الباطنية هم العامة كالنبط والأكراد وأولاد المجوس والشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب ويتمنون عود الملك الى العجم (15) •

وهكذا نجد أن لقب المهدي الذي يعتبر مستودعا للقوة السياسية والطهارة البدنية في الاسلام ، قد جعل عددا من الثوريين الاجتماعيين يتلقبون به في المجتمعات الاسلامية لاكتساب القوة والسلطة ضد الحكومة الفعلية القائمة (16) •

ومن بين الجماعات العرقية التي ظهرت بينها معتقدات قريبة الصلة بالمعتقدات المهدوية ، نذكر بعض الجماعات في شمال افريقيا • فقد ذهب بعضهم مثلا الى القول بأن الامام هو تجسد للاله على الأرض • ولعل هذا يفسر لنا لماذا كان أهل كتامه من أنصار عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية (17)، ويفسر لنا لماذا وجد الخوارج فيهم بيئة مناسبة لبث دعايتهم ونشر أفكارهم المعارضة منذ العهد الأموي (18) • ولم تقم الحركات المهدوية في السودان وليبيا والصومال الا على أساس الفكرة القومية •

---

15 ـ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مرجع سابق ، ص 285-286 •

16 – Encyclopaedia Britanica, op. cit., art : Mahdi, p. 632.

17 ـ دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، مادة «بربر» ص 501 ـ 522 •

18 ـ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مرجع سابق ، ص 158 ـ 159 ، 182 •

خاتمة :

لعل أهمية دراستنا لعقيدة المهدي المنتظر في الاسلام تبدو في أنها تزيل بعض الشبهات التي علقت بالتراث الفلسفي الاسلامي من حيث قيمته الحقيقية سواء عن عمد أو بسبب الاهمال المطلق فالبعض يعزو قلة الانتاج السياسي ذي الصبغة الفلسفية في الفكر الاسلامي الى عدم اثارة موضوعات يتدخل فيها الخيال وتبني فيها مدن الأحلام ، وذلك بسبب سيطرة أفكار أرسطو باعتبارها أقرب الى المنطق والأرستقراطية التي صبغت الفلسفة الاسلامية حتى في ميدان السياسة ، ومن ثم طمست الأفكار المشوبة بالخيال في كل الشروح والتلخيصات التي وردت عن سياسة أفلاطون (19) •

واذا كان أصحاب هذا الرأي يستثنون من مفكري الاسلام وفلاسفته «الفارابي» باعتباره في نظرهم النموذج الوحيد الذي يتمتع بمكانة خاصة ضمن القيود التي يتصورون أنها كبلت الخيال السياسي في الفكر الاسلامي ، فان أهمية هذه الدراسة تتجلى في ابراز نماذج أخرى من الفلسفة الاسلامية والفرق الاسلامية التي شكل الخيال السياسي محور عقائدها وأفكارها• فالفرق التي آمنت بعقيدة المهدي المنتظر كانت ترنو الى خلق مدن مثالية فاضلة تناقض تماما صورة المدنية الواقعية • ولم يقف تصور كثير من هذه الفرق عند حد الفكر والنظر فيما يتصل بالمدينة الفاضلة بل عملت هذه الفرق من أجل تحقيق أفكارها

---

19 – حول وجهة النظر هذه يرجع الى : عبد المجيد مزيان ، حدود الخيال السياسي عند الفارابي ، دراسات فلسفية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1974 ، ص 180–181 •

ونظرياتها على أرض الواقع ، فقامت بتنظيم جهود أعضائها من خلال حركة سياسية هدفها قلب نظام الحكم أو تغيير الأوضاع تغييرا شاملا عن طريق العمل الثوري أحيانا ، وعن طريق العمل السري أحيانا أخرى • وقد عمدت هذه الفرق على نشر دعوتها ودعاياتها في الأوساط الجماهيرية في اطار خطة وبرنامج سياسي قوامه التشهير والتحريض السياسي بالنظام القائم ، والتبشير بمدينة فاضلة مثالية •

ان التنقيب في التراث الاسلامي — وبصفة خاصة عند الفرق الاسلامية التي أخذت بمنهج الاستدلال المنطقي في بحوثها ، وبالقيم الفلسفية في حركاتها السياسية — لا بد وأن يبرز لنا نماذج كثيرة من الأفكار التي بلغ بها الخيال آفاقا بعيدة ، والتي تعكس الخيال السياسي بأجلى صوره ومعانيه ، لا سيما وأن مظاهر كبت الحريات وتخييب الآمال التي واكبت الأنظمة السياسية التي حكمت العالم الاسلامي بعد عهد الخلفاء الراشدين ، ساعدت على الهاب وتأجيج الخيال السياسي لدى المفكرين الأحرار ولدى الجماعات المضطهدة •

وفي تقديرنا أن هذه القيود المذكورة على حدود الخيال السياسي ، صحيحة بالنسبة لمعظم رجال الفكر الاسلامي الذين عبرت أفكارهم عن سياسة وثقافة وايديولوجية الأمر الواقع نظرا لارتباطهم بأنظمة الحكم المسيطرة • ولذا نرى هؤلاء — فيما يتعلق بمعالجة أي قضية من قضايا الواقع المعطى — يتبنون وجهة النظر الاستسلامية التي تنظر الى الواقع كأنه شيء لايمكن تغييره ، واذا كانوا يرون أن وجهة نظرهم «واقعية» فما ذلك الا بسبب ارتباطها جوهريا بالأمر الواقع أو بالنظام القائم • ولعل هذا يفسر لنا موقف هؤلاء من الأفكار الجديدة موقفا عدائيا • ومن ثم ، اذا أردنا أن نعرف الكثير عن الخيال — لا سيما في جانبه السياسي — فلنلجأ الى كتابات الفرق المضطهدة والفلاسفة المضطهدين الذين تبنوا وجهة النظر التي يمكن أن نطلق عليها

« وجهة النظر الثورية » التي تنظر الى الواقع بأنه متطور ومتحرك ، وأنه شيء يمكن تغييره كيفيا ، وذلك لأنهم وجدوا هوة كبيرة بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون ، ووضعوا صورة مثالية أو خيالية للمجتمع وللعلاقات الاجتماعية التي يطمحون الى تحقيقها • وقد اضطر كثير من أصحاب وجهة النظر الثورية الى الاستتار والتقية ، كما لجأوا في كتاباتهم أحيانا الى استخدام الرموز وعلم الحروف والأعداد والقصص الرمزية والاشارات والايماءات والمحاورات على ألسنة الطيور والحيوانات يستعينون بها على الغاز ما يرون ضرورة اخفائه من آراء سياسية ومكاشفات غيبية وما لا يرغبون التصريح به من حقائق كونية • ومن يطلع على تآويلهم ويحللها ويخضعها للفحص والدراسة العلمية ، سوف يكتشف أن أفكارهم قد حلقت في آفاق بعيدة من الخيال لاستخلاص الصورة المثالية لما يجب أن يكون عليه الفرد والمجتمع •

وفي تصورنا أن القيمة الحقيقية لآراء ومعتقدات الموالين للحركات المهدوية حول المهدي المنتظر وحول المدينة الفاضلة المثالية التي ستتحقق على يد المهدي المنتظر ، تكمن في حقيقتين أساسيتين هما :

1 ـ أن نظريتهم حول المدينة الفاضلة والمهدي المنتظر تعكس مدى استنكارهم للأمر الواقع وللنظام السياسي القائم ، وتجعل هذا الواقع مناقضا تماما للصورة المثلى ، وتعكس أيضا حكمهم بعدم شرعية النظام القائم وعدم ملاءمته لمن يعيشون في كنفه •

2 ـ أن نظريتهم تقدم أيضا دعوة لاعتناق وجهة نظرهم المضادة للأمر الواقع في اطار وضع نظام مثالي لما ينبغي أن يكون وهذه الدعوة تفتح الباب من ثم لتغيير الأوضاع القائمة • وفي ظل هذه النظرية وحدها يكون تغيير نظام الحكم في

الدولة أمرا طبيعيا وشرعيا من وجهة النظر الاعتقادية والفلسفية لمعتنقي المهدوية •

وفي ختام هذا البحث ، نقول بأنه على الأرجح ستظل عقيدة المهدي المنتظر ـ بمعنى الرغبة في تغيير الواقع السيء واستبداله بواقع أفضل ـ حية في نفوس قطاعات كثيرة من جماهير مجتمعاتنا العربية المعاصرة ، وستظل تعبر عن نفسها من آن لآخر في أشكال وأنماط ثورية مختلفة لتعكس رفض هذه القطاعات لأنظمة الحكم القائمة ، ولتعبر عن رفض كافة الايديولوجيات المعاصرة ـ فردية كانت أو شمولية ـ لأنها لم تستطع أن تعكس جوهر وروح الاسلام الذي تهدف تعاليمه السمحة الى تحقيق أمل وسعادة الانسان العادي • وطالما كانت هناك طبقات أو جماعات مظلومة ، فان صرخة العدالة من حناجر البائسين لا بد وأن تدوي في آفاق هذه المجتمعات حينا بعد حين • واذا كانت بعض الحركات المهدوية قد قامت بدافع من الوطنية والقومية لتخليص المجتمعات من براثن الاستعمار الأجنبي ، فان حركات مهدوية أخرى قامت وستقوم من أجل تخليص المجتمع من براثن الاستعمار الذاتي الذي يمارسه فرد أو تمارسه طبقة ضد باقي أفراد أو طبقات المجتمع • وستظل عقيدة المهدي المنتظر ، أو الثوري المنتظر ، قوية حية في النفوس الى أن يظهر نمط للحكم قادر على تطبيق قيم الاسلام الصحيحة التي تعكس رغبة كل فرد في المساواة والعدالة • وحين يظهر هذا المجتمع يمكن القول بأن فكرة أو عقيدة المهدي المنتظر قد تجسدت في شكل مجتمع مليء عدلا بعد ما ملىء جورا •

مراجع البحث

أولا ـ المراجع العربية :

أ ـ المراجع التراثية :

1 ـ ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الشعب القاهرة .

2 ـ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، القاهرة 1303 هـ .

3 ـ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، القاهرة 1383 هـ .

4 ـ ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

5 ـ ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، بيروت .

6 ـ ابن النديم ، الفهرست ، مكتبة خياط ، بيروت .

7 ـ ابن حجر الهيثمي ، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، القاهرة 1312 هـ .

8 ـ ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، القاهرة .

9 ـ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بولاق 1284 هـ .

10 ـ ابن سعد ، الطبقات الكبيرة ، تصحيح شيخو ، ليدن 1322 هـ .

11 ـ ابن طباطبا ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة 1317 هـ .

12 ـ ابن ماجه ، السنن ، القاهرة 1972 م .

13 ـ ابن منظور ، لسان العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة .

14 ـ أبو العباس أحمد النجاشي ، كتـــاب الرجال ، بومباى 1317 هـ .

15 ـ أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

16 ـ أبو داود ، السنن ، القاهرة 1371 هـ .

17 ـ أفلاطون ، الجمهورية ، ترجمة وتقديم د . فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1974 .

18 ـ الأصبهاني ، الأغاني ، دار الفكر للجميع ، بيروت 1970 .

19 ـ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، وبيان الفرقة الناجية منهم ، دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1978 .

20 ـ البلاذري ، أنساب الأشراف ، القاهرة .

21 ـ البيروني ، الآثار الباقية ، مراجعة شيخو ، القاهرة .

22 ـ البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، حيدر آباد 1377 هـ .

23 ـ الترمذي ، الجامع الصـــحيح ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

24 ـ الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، المطبعـة العامرية الشرفية ، مصر المحمية 1322 هـ .

25 ـ الجوذري ، سيرة الأستاذ جودز ، دار الفـكر العـربي ، القاهرة .

26 ـ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، القاهرة .

27 ـ الدينوري ، الأخبار الطوال ، القاهرة .

28 ـ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، القاهرة .

29 ـ الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين ، القاهرة .

30 ـ الرازي ، مختار الصحاح ، المكتبة الأموية ، بيروت ـ دمشق 1978 .

31 ـ السبكي ، الطبقات ، القاهرة .
32 ـ السيوطي ، الحاوي ، القاهرة .
33 ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، القاهرة .
34 ـ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة 1258 هـ .
35 ـ العامري ، السعادة والاسعاد ، نشر مجتبي مينوي ، فيزبادن 1957 ـ 1958 .
36 ـ العامري ، كتاب الاعلام بمناقب الاسلام ، تحقيق د . احمد عبد الحميد غراب ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة 1967 .
37 ـ العسقلاني ، لسان الميزان ، القاهرة .
38 ـ الغزالي ، احياء علوم الدين ، دار الشعب ، القاهرة 1959 .
39 ـ القرآن الكريم .
40 ـ الكتاب المقدس .
41 ـ الكليني ، الكافي ، طهران 1312 ـ 1318 هـ .
42 ـ المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الخلفا ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ، القاهرة 1948 .
43 ـ المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، بولاق 1270 هـ .
44 ـ المؤيد في الدين ، المجالس المؤيدية ، القاهرة .
45 ـ اليماني ، سيرة جعفر الحاجب ، مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، ديسمبر 1936 .
46 ـ ديوان ابن التعاويذي ، تحقيق مرجليوث ، القاهرة 1904 .
47 ـ ديوان جرير ، القاهرة 1313 هـ .
48 ـ رسائل اخوان الصفاء ، دار صادر ـ دار بيروت ، بيروت 1957 .
49 ـ رسائل الجاحظ ، القاهرة 1324 هـ .

50 ـ شرح القسطلاني على صحيح البخاري ، القاهرة 1285 هـ .

51 ـ شرح النووي على صحيح مسلم ، القاهرة .

52 ـ لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ، القاهرة 1299 هـ .

53 ـ ماكيافيلي ، الأمير ، تعريب خيري حماد ، بيروت 1960 .

54 ـ ماكيافيلي ، مطارحات ماكيافيلي ، تعريب خيري حماد ، بيروت 1962 .

55 ـ مجهول ، أخبار العباسي وولده ، تحقيق د . عبد العزيز الدوري ، د . عبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت 1971 .

56 ـ مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، القاهرة 1959 .

57 ـ مسلم ، الجامع الصحيح ، القاهرة 1384 هـ .

ب ـ المراجع الحديثة بالعربية :

58 ـ أجناس جولدتسيهر ، العقيدة والشريعة في الاسلام ، ترجمة د . محمد يوسف موسى وآخرين ، دار الكاتب المصري ، القاهرة 1946 .

59 ـ د . أحمد محمود صبحي ، نظرية الامامة عند الشيعة الاثنى عشرية ، القاهرة 1969 .

60 ـ آدم ميتز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، القاهرة 1940 .

61 ـ الموسوعة العربية الميسرة ، اشراف محمد شفيق غربال ، القاهرة 1959 .

62 ـ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، القاهرة .

63 ـ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت 1968 .

64 ـ جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ، ترجمة حسن جلال العروسي وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة 1963 .

65 ـ جورج كونتنو ، المدنيات القديمة في الشرق الأدنى ، ترجمة متري شماس ، المنشورات العربية ، بيروت .

66 ـ د . حسن حنفي ، قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1976 .

67 ـ د . حسن صعب ، الاسلام وتحديات العصر ، دار العلم للملايين ، بيروت 1974 .

68 ـ حسين قاسم العزيز ، البابكية ، مكتبة النهضة ، بغداد 1966 .

69 ـ دائرة المعارف الاسلامية ،دار الشعب ، القاهرة .

70 ـ سيد حسين نصر ، ثلاثة حكماء مسلمون ، ترجمة صلاح الصاوي ، بيروت 1970 .

71 ـ صالح عبد العزيز ، تطور النظرية التربوية ، دراسات في التربية ، دار المعارف ، مصر 1964 .

72 ـ د . طه حسين ، الفتنة الكبرى ، القاهرة 1947 .

73 ـ عبد الجليل حسن ، ثورة الفاضبين ، مجلة الكاتب ، القاهرة ، العدد 117 .

74 ـ د . عبد الغني عبود ، العقيدة الاسلامية والايديولوجيات المعاصرة ، الاسلام وتحديات العصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1976 .

75 ـ عبد الله النجار ، مذهب الدروز والتوحيد ، دار المعارف ، القاهرة 1965 .

76 ـ عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، دار احياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة ، بيروت .

77 ـ د . عثمان أمين ، درسات فلسفية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1974 .

78 ـ د . علي حسني الخربوطلي ، المهدي العباسي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

79 ـ د . فاروق عمر ، العباسيون الأوائل ، بيروت 1970 .

80 ـ فلهوزن ، الخوارج والشيعة ، ترجمة د . عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1958 .

81 ـ كريستنسن ، ايران فى عهد الساسانيين ، ترجمة د . يحيى الخشاب ، القاهرة 1957 .

82 ـ كرين برنتون ، الثورة ـ عناصرها ـ تحليلها ـ نتائجها ، ترجمة زيادة عناب وشجاع الأسد ، دار الكاتب العربي ، بيروت .

83 ـ لوي ماسينيون ، الانسان الكامل في الاسلام ودلالته النشورية ، ترجمة د . عبد الرحمن بدوي ضمن كتابه الانسان الكامل في الاسلام ، وكالة المطبوعات ، الطبعة الثانية ، الكويت 1976 .

84 ـ د . محمد جمال سرور ، الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربي ، الطبعة الرابعة ، القاهرة 1973 .

85 ـ محمد حرب عبد الحميد ، يهود الدونمة ، مجلة العربي ، الكويت ، فبراير 1980 .

86 ـ محمد حسن الأعظمي ، عبقرية الفاطميين ـ أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت 1970 .

87 ـ د . محمد عبد الهادي شعيرة ، محاضرات في تاريخ العصر العباسي الأول (استنسل) ، كلية الآداب جامعة عين شمس 1969 .

88 ـ د . محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفاء ، دراسة في الفكر الاسلامي ، رسالة دكتوراه (تحت النشر) ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة 1976 .

89 ـ محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، بيروت .

90 ـ محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، القاهرة 1946 .

91 ـ محمد كرد علي ، خطط الشام ، دمشق 1925 .

92 ـ محمد متولي الشعراوي ، حديث حول التساؤلات الدينية التي أثارها حادث الاعتداء على البيت الحرام ، جريدة الأهرام ، القاهرة 30ـ11ـ1979 .

93 ـ د . محمود اسماعيل ، الحركات السرية في الاسلام ، القاهرة 1973 .

94 ـ مصطفى عبد الرازق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1966 .

95 ـ معجم الفاظ القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1970 .

96 ـ موريس دوفرجيه ، المدخل الى علم السياسة ، ترجمة د . جمال الأتاسي ، د . سامي الدروبي ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع .

97 ـ ناجي حسن ، ثورة زيد بن علي ، مكتبة النهضة ، بغداد 1966 .

98 ـ هانز هينرش شيدر ، نظرية الانسان الكامل عند المسلمين مصدرها وتصورها الشعري ، ترجمة د . عبد الرحمن بدوي ضمن كتابه الانسان الكامل في الاسلام ، وكالة المطبوعات ، الطبعة الثانية ، الكويت 1976 .

99 ـ ياكوب باريون ، ما هي الايديولوجية ، تعريب د . أسعد رزوق ، الدار العلمية ، بيروت 1971 .

ثانيا ـ المراجع الأفرنجية :

100 — André Lalande, vocabulaire technique et critique de la philosophie, Paris, 1926.

101 — Destutt de Tracy, Mémoire sur la faculté de penser, 1976-1978.

102 — Dorothy M. Pickles, Introduction to politics, London, 1970.

103 — Emile Brehier, Histoire de la philosophie, La philosophie moderne, Paris, 1940.

104 — Encyclopaedia Britanica, 1972.

105 — Eves Marquet, Imamat, résurrection et hiérarchie selon les Ikhwan Al-Safa, Revue des Etudes Islamiques, Tome 30, 1962.

106 — H. Hanafi, Théologie ou anthropologie, Renaissance du Monde arabe, Gemblux, 1972.

107 — Karl Mannheim, Ideology and utopia, London, 1936.

108 — Plato, The laws, Translated by : Trevor J. Saunders, Penguin Books, 1975.

109 — R. A. Nicholson, The Mystics of Islam, London, 1914.

110 — The Shorter Encyclopaedia of Islam.

111 — T. Sinclaire, A history of greek political thought, London, 1959.

فهرس الموضوعـات

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحـدة الطبـع المتعددة
ورشة أحمد زبـانة
الجزائر ـ 1984